التقوى

المجلد ٣٨ - العدد ٩

رجب وشعبان ١٤٤٧هـ، كانون الثاني- يناير/ ٢٠٢٦

هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ

إسلامية شهرية

تصدر عن

المكتب العربي

بالجماعة الإسلامية

الأحمدية العالمية،

المملكة المتحدة

رئيس التحرير

أبو حمزة التونسي

هيئة التحرير

عبد المؤمن طاهر

عبد المجيد عامر

محمد طاهر نديم

محمد أحمد نعيم

مير أنجم برويز

الهيئة الإدارية

نصير أحمد قمر

منير أحمد جاويد

عبد الماجد طاهر

مشرف الموقع

نفيس أحمد قمر

الاتصالات:

Al Taqwa,
22 Deer Park Road,
London SW19 3TL,
United Kingdom

e: info@altaqwa.net

الاشتراك السنوي ٢٠ جنيها استرلينيا
أو ما يعادل ذلك بالعملة الصعبة
تكتب الحوالات المصرفية والبريدية
باسم ASI Ltd

© جميع الحقوق محفوظة
للشركة الإسلامية الدولية

ISSN 1352 - 9463

لا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّٰهِ

"التقوى" النسخة الإلكترونية

altaqwa.net

مواد دينية، ثقافية،
تاريخية وعلمية في غاية الأهمية.

إخـــلاء المســـؤولية: تبـذل مجلـة التقـوى جهدهـا لضـمان دقـة المعلومـات والمـواد المنشـورة عـبر منصاتهـا، والتـي هـي نتـاج سـعي كاتبهـا إلى إبـداء وجهـة نظـره انطلاقـا مـن أسـس الجماعـة الإسـلامية الأحمديـة التـي لا يملـك حـق تمثيلهـا سـوى سـيدنا المسـيح الموعـود والإمـام المهـدي (عليـه الصـلاة والسـلام) ومـن بعـده خلفائـه الأطهـار حـصرًا، فتحظـى المـادة بالموافقـة عـلى النـشر بقـدر مـا يوفَّـق كاتبهـا للبحـث والتمحيـص، إلا أن مجلـة التقـوى لا تقـدم أي ضـمان صريـح أو ضمنـي حـول مـا تنـشره مـن مـواد، وإن كانـت تسـعى بنفسـها للتأكـد مـن دقتهـا. لـذا فـإن أي خطـأ قـد يصـدر مـن الكاتـب فهـو عـلى مسـؤوليته الشـخصية، ولا تُحَمَّـل الجماعـة الإسـلامية الأحمديـة أو إدارة «التقـوى» تَبِعَاتـه.

المحتويات

يناير 2026 | المجلد 38 | العدد 9

رجب وشعبان 1447 هـ / كانون الثاني - يناير 2026

2 | **كلمة التقوى**
إعلام الدجّال، والتورُّط في غسيل الأدمغة

4 | **في رحاب القرآن**
ماهية جهنم، ومن هم أهلها

8 | **من نسائم الروضة النبوية الشريفة**
علم القرآن خير ما يُحسَد المرءُ عليه

9 | **هكذا تكلم المسيح الموعود**
ليلة القدر، ماهيتها، وفضلها

إن الله تعالى ينزل من كنوزه بقدر حاجة الخلق في كل عصر. وقد أُنزلت التوراة والإنجيل من قبل لسد حاجة الناس في زمان خلا، أما القرآن فكانت غايته إصلاح كافة الأمكنة في كل الأزمنة، فهو قانون أبدي لا يطرأ عليه التبدُّل ولا التحوُّل، إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها.

10 | **القرآن الكريم ذريعة هداية العالم في كل زمان ومكان** خطبة الجمعة ٢٠٢٣/٣/٢٣

19 | **حكم وأقوال**
ضحى أحمد

20 | **حقيقة الحسد بين اللغة والعقيدة وعلم النفس** سامح مصطفى

26 | **تورط وسائل الإعلام المعاصرة في جريمة انتزاع إنسانية الإنسان** عبادة بربوش

32 | **من منا لا يعاني من اضطراب الوسواس القهري؟!**
د. ثمر حفيظ

إعلام الدجَّال، والتورُّط في غسيل الأدمغة

لعلَّ من أبرز التحولات التي شهدها العصر الحديث، تلك الطفرة الهائلة في عالم الاتصالات والإعلام، ما جعل المجتمعات الإنسانية أشبه ما تكون بقرية صغيرة. لم يعد الإعلام مجرد وسيلة لنقل الخبر، بل أصبح قوةً جبارةً بيد القائمين عليه، قادرة على تشكيل الوعي والتحكم في السلوكيات، إلى الحد الذي يمكن أن يوصف فيه بأنه أداة جناية البشرية على نفسها، لا سيما في ظل التخوُّف، حيث يرى الخبراء استقلال تقنيات الذكاء الاصطناعي من الإنسان ويطور التقنيات والبرامج بمفردها وذلك بدون دراية الإنسان وتتحول إلى عبد متمرد على سيده، وتخرج عن سيطرة الإنسان الذي أنشأها وطوَّرها.

لقد كان الإعلامُ أداةً لتوجيه الرأي العام، لكنه اليوم، وفي ظل الثورة الرقمية الرابعة، أصبح يمتلك آليات معقدة، مدعومة بالذكاء الاصطناعي والبيانات الضخمة، تُمكنه من التأثير في الأفراد والمجتمعات على نحو لم يسبق له مثيل. إن الوضع بلغ من خطورته أنْ صار التمييز بين المادة المرئية الحقيقية الصادقة من جانب وتلك التي جرى تنفيذها بأدوات الذكاء الاصطناعي من جانب الآخر ضربا من ضروب العمل الشاق، فالفرق بين المادتين لا تكاد تلحظه عين بصر، فالتعويل الآن أصبح على عين البصيرة واليقين الصادق.

والتأثير السلبي للإعلام المعاصر لم يقتصر على مظهر واحد، بل تغلغل في كافة جوانب حياتنا، أفرادًا ومجتمعات، من خلال آليات بالغة التعقيد، نذكر منها عمليات القرصنة النفسية التي نتعرض لها بشكل يومي، وتهدف إلى إبقاء المستخدم عاكفًا على متابعة صفحات ومواقع شتى السلع والأخبار والخدمات، بحيث يتحول هو نفسه إلى سلعة.

تعتمد هذه المنصات على نموذج «الرأسمالية القائمة على المراقبة»، حيث تُجمع البيانات عن كل نقرة «إعجاب» أو «مشاركة» أو «مشاهدة» يقوم بها المستخدم، وبناءً على هذه البيانات، تعمل الخوارزميات وتعرض المحتوى الذي يرغب المستخدم في مشاهدته بالضبط، مما يبقيه منجذبًا إلى شاشته لفترة أطول. هذا النموذج يهدف في جوهره إلى خدمة شركات الإعلان، التي تُعد المستهلك الحقيقي، حيث تُباع لها بيانات المستخدمين وتفضيلاتهم، بينما نحن المستخدمون، فيجري التعامل معنا بوصفنا مجرد سلع أو أرقام!

ولكي تتحقق للقائمين على المؤسسة الإعلامية الرأسمالية مآربهم، يُسهم أدواتهم الإعلامية المعاصرة في خلق واقع افتراضي منفصل عن الحقيقة، حيث يُقدَّم لكل شخص «حقائق» مختلفة تتوافق مع اهتماماته وتوجهاته، فعلى سبيل المثال، في تعامل مؤسسات إعلامية معروفة مع المتلقي العربي أو المسلم، تعرِض قضية المسلمين الأحمديين بوصفهم خارجين عن الملة وداعمين لأجندة خارجية استعمارية[1] بينما حين تخاطب المؤسسة ذاتها المتلقي الغربي فإنها تقدم إليه صورة مغايرة تماما للقضية ذاتها، فتُظهرنا نحن الأحمديين بوصفنا مجنيًّا عليهم![2].. إن هذا النموذج الإعلامي، الذي يُعطي المستخدم ما يريده، لا ما يحتاج إليه، يُسهم في انتشار المعلومات الكاذبة بشكل أسرع بست مرات من الحقيقة، ويزيد من حدة الاستقطاب الفكري في المجتمعات.

علاوة على ذلك، يُعزز الإعلام المعاصر ثقافة "**الأنا**" والنزعة

لإعلام المعاصر، بما يحمله من تحديات جسيمة، هو انعكاس لحالة الوعي الإنساني، وهو ما يتطلب منا كأفراد ومجتمعات أن نعود إلى جوهر إنسانيتنا، الذي يقوم على التآلف والمواساة والإحسان إلى الآخرين. فهل سنكون على قدر المسؤولية لنعيد توجيه هذه القوة الجبارة نحو خدمة الإنسانية بدلاً من تدميرها؟!

الفردية، ويقوّض عاطفة المواساة التي هي جوهر الإنسانية، فالتفاعل الافتراضي يحل محل التفاعل المباشر، ويُغذي شعور الأفراد بالانعزالية، مما يجعلهم أكثر أنانية ويصعب عليهم الشعور بمعاناة الآخرين، كما أن هذه المنصات تُحرّك المادية المفرطة، حيث تُقدّم معايير جمال وثروة زائفة يصعب الوصول إليها.

وفي كتاب «غسيل الأدمغة» يناقش المؤلف دانيال بيك مسألة السيطرة على الوعي الإنساني بوصفها ظاهرة ممتدة عبر التاريخ وليست مجرّد ممارسة ظرفية. فالتحكّم في العقول يتجاوز حدود أنظمة الحكم الجبرية الشمولية القديمة إلى الفضاءات الديموقراطية الحديثة، حيث يتحقق بأساليب ناعمة عبر الإعلام والتعليم والدعاية التجارية والتقنيات النفسية في تشكيل الرأي العام. يكشف المؤلف أنّ ما يُسمّى بـ «غسيل الأدمغة» ليس مجرد خطاب دعائي، بل منظومة معرفية رمزية تعمل على إعادة صياغة علاقة الفرد بذاته وبالعالم، بحيث يغدو الامتثال والطاعة نتاجًا لإعادة توجيه الإدراك قبل أن يكون نتيجة إكراه مادي مباشر. ويضع الكتاب هذه الظاهرة في سياق جدلي، رابطًا بين التجارب الكلاسيكية للأنظمة النازية والستالينية والاستعمارية، وبين الآليات المعاصرة التي تتوسل التكنولوجيا الرقمية وخوارزميات الإعلام الاجتماعي لإنتاج أنماط جديدة من الطاعة الطوعية. فالمسألة هنا لا تتعلق بمجرد أدوات القمع، بل بآليات أكثر خفاءً تُمارَس باسم الحرية والاختيار، بينما هي في حقيقتها تضيّق أفق الحرية وتعيد إنتاجها في إطار محدّد مسبقًا.

فكما يبدو، باتت وسائل الإعلام المعاصرة واقعا لا فكاك منه، فالسبيل إلى الخلاص من تأثيرها ليس في الإقلاع المطلق عن استخدام هذه الوسائل، وإنما في إصلاح كامل لطريقة التعامل معها واستخدامها. وهذا الإصلاح لا يمكن أن يتحقق إلا بسلوك المسلك الإسلامي في مثل هذه المعضلات، وهو ما تسعى التقوى لعرضه ضمن المادة المقالية لهذا العدد.

وفي الختام، فإن الإعلام المعاصر، بما يحمله من تحديات جسيمة، هو انعكاس لحالة الوعي الإنساني، وهو ما يتطلب منا كأفراد ومجتمعات أن نعود إلى جوهر إنسانيتنا، الذي يقوم على التآلف والمواساة والإحسان إلى الآخرين. فهل سنكون على قدر المسؤولية لنعيد توجيه هذه القوة الجبارة نحو خدمة الإنسانية بدلاً من تدميرها؟!

الهوامش:

١. يُنظر: القاديانية.. بين مزالق الهرطقة ومصارع السياسة..

2. Abid Hussain, Pakistan's Ahmadis living in fear as graves, religious sites attacked, Aljazeera Live, 27 Sep 2023

ماهية جهنم، ومن هم أهلها

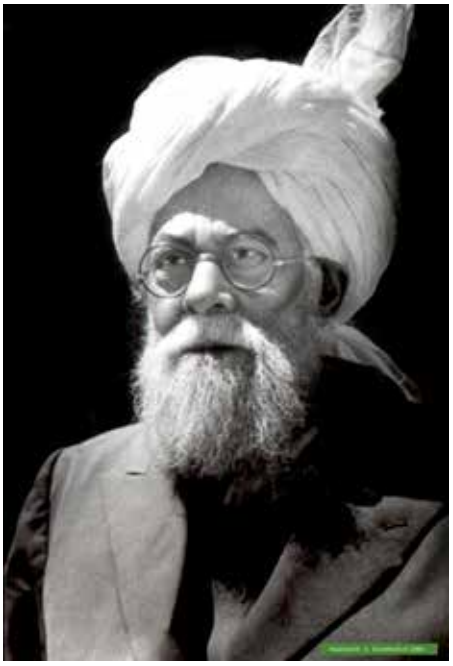

حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد ﷺ

الخليفة الثاني للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٩﴾

ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٧٠﴾

ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧١﴾

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ (مريم ٦٩)

شرح الكلمات:

جِثِيًّا: جثا الرجلُ يجثو: جلَس على رُكبتيه، أو قام على أطراف أصابعه، فهو جاثٍ، وجمعه الجثيُّ (الأقرب).

أما صاحب المفردات فقال: قد يكون ﴿جثيًّا﴾ مصدرًا لـ جثا يجثو.

التفسير:

يتضح من هذه الآية أيضًا أن المقصود هنا الإنسان المذكور من قبل، وليس كل الناس. إذ لو كان المراد من الإنسان هنا المؤمنون من الطراز الأول والصديقون والشهداء والأنبياء، فلا داعي لذكر الشياطين الذين يوسوسون. فكلمة ﴿الشياطين﴾ تدل بجلاء على أن الإنسان هنا يعني قومًا لا يؤمنون بالحياة بعد الموت إيمانًا كاملاً... يقول الله تعالى إننا لا بد وأن نجمع هؤلاء مع الشياطين أي مع الفلاسفة الذين يوسوسون في قلوبهم حول الحياة بعد الممات، ﴿ثم لنُحضِرنّهم حول جهنمَ جِثِيًّا﴾.

يقول المفسرون بالإجماع أن «جهنم» كلمة أعجمية، وليس لها اشتقاق في العربية (الإتقان). ويرى علماء اللغات الأعجمية أنها كلمة آرامية وتعني «مكان العقاب بعد الموت». وفي اللغة العبرية

إن سيدنا المسيح الموعود عليه السلام أيضًا قد قام بتفسير كلمة قرآنية على هذا الغرار نفسه. فقال حضرته في كتابه «فلسفة تعاليم الإسلام» إن لفظ «الخنـزير» مركب من كلمتين هما «الخَنـز» أي الفاسد جدًّا، و»أَرَى»؛ فيكون معنى الخنـزير: «أراه فاسدًا جدًّا».. أي أن في هذا الحيوان خصالاً تدل على ما فيه من سوء وفساد

تُستعمل كلمة «جِهَنَّهْ» (Gehenna) التي أصلها الآرامي هو «هِنُّوم» (Hinnom)، ثم حُوّلت فيما بعد إلى «جِهِنُّوم» (Ge- Hinnom).

كما يرى هؤلاء العلماء أن «هنوم» جزء من كلمة كبيرة، ومعناه «وادي إراقة الدماء» أو «وادي القتل العام» (الموسوعة التوراتية مجلد ٢: Hinnom).

وعندي أن «جهنوم» كلمة عربية مشوهة. حيث يعني الهَنَمُ في العربية النمر، ولفظ «ذو هنم» يعني المكان الذي يوجد فيه النمور. وأرى أن أصل هذه الكلمة هو «ذُو هنم» أي المكان الذي تكثر فيه النمور التي تفترس الناس وتجرحهم. وبما أن العجم يبدلون الذال جيمًا بشكل عام، فجعل الآراميون من «ذي هنم» جهنوم، ثم أخذها العرب وحوّلوها جهنم. وهناك أمثلة كثيرة حيث انتقلت كلمة من لغة إلى أخرى، ثم صارت مشوهة، ثم رجعت إلى اللغة الأصلية بصورتها المشوهة، ثم صيغت بقالب جديد.

كما أرى أن لفظ «جهنم» ربما تكون مركبة من كلمتين من الثلاثي المجرد وهما «جهن» و»جهم»، حيث يعني الجهن الاقتراب، بينما يعني الجهم اللقاء بوجه عبوس (المنجد). فأصل جهنم هو جهنجهم» ومعناه شيء يذهب إليه المرء شوقًا، وعندما يقترب منه يعبس خوفًا واستياء. والحق أن هذا الاسم يرسم صورة جهنم رسمًا تامًّا، حيث يدل على أن المرء يستحسن الأفعال الفاسدة التي تؤدي به إلى جهنم، ولكنه حين يقترب من جهنم جراء تلك الأعمال يستاء ويعبس قائلاً إنه مكان بشع مخيف. وكأن جهنم سُمّيت بهذا الاسم تدليلاً على الحالة التي يكون فيها الإنسان عند رؤيته لها وكذلك على الأعمال التي يستحسنها المرء نظرًا إلى ظاهرها ولكنها هي التي تقرّبه من جهنم.

إن سيدنا المسيح الموعود عليه السلام أيضًا قد قام بتفسير كلمة قرآنية على هذا الغرار نفسه. فقال حضرته في كتابه «فلسفة تعاليم الإسلام» إن لفظ «الخنزير» مركب من كلمتين هما «الخَنز» أي الفاسد جدًّا، و»أَرَى»؛ فيكون معنى الخنزير: «أراه فاسدًا جدًّا».. أي أن في هذا الحيوان خصالاً تدل على ما فيه من سوء وفساد (فلسفة تعاليم الإسلام ص ٣٣٨).

وكما سبق في شرح الكلمات أن الجثيّ هو الجلوس على الركبتين كما نجلس في الصلاة عند التشهد، أو

القيام على أصابع القدمين مثل من يقوم على أصابعه رافعًا كعبه، مادًّا عنقه إلى فوق لينظر إلى شيء. وكلا المعنيين ينطبق هنا. ذلك أن الحديث هنا عن جهنم، ومن فطرة الإنسان أنه إذا أحاط به خطبٌ حاول أولاً أن يصوب إليه نظره مطلا إليه واقفًا على أصابع قدميه ليعرف ما هي المصيبة القادمة. ولكنه حين يراها تخور قواه ويخر على ركبتيه.

﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا * ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا﴾ (مريم ٧٠-٧١)

شرح الكلمات:

شيعة: الشيعة: الفِرقة (الأقرب).

ثُمَّ: حرفُ عطفٍ يدل على الترتيب والتراخي (الأقرب).

صِلِيًّا: صَلِيَ النارَ وبها يصلَى صِلِيًّا: قاسى حرَّها واحترق بها ودخل فيها (الأقرب).

التفسير:

لقد بين الله تعالى هنا أنه قبل أن يُدخل الكفار في النار سيؤخذ من كل فرقة منهم رؤساؤهم الذين كانوا أكثر عصيانًا وتمردًا على الله الرحمن ليعذبهم عذابًا أشد.

علمًا أن «ثُمَّ» في قوله تعالى ﴿ثم لَنَنزعنّ مِن كلّ شيعةٍ أيُّهم أشدُّ على الرحمن عِتِيًّا﴾ هو لبيان ترتيب الأحداث، أما «ثم» الوارد في قوله ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا﴾ فليس للترتيب بل للعطف فقط، أي شرحًا لما سبق ذكره وبيانًا لدرجة كفرهم، لأن «ثم» يفيد أيضًا بيان الزمان والمكان والوضع، والمراد أننا أدرى بمدارج كفرهم، وبأماكن عذابهم، وليس معناه أن الله تعالى سيعلم درجة كفرهم ومكان عذابهم بعد أن ينزع منهم مَن هو أشد على الرحمن عتيًّا. ذلك أن علم الله تعالى أسبق زمنًا من فعله. والحق أن العلم أسبق زمنًا من الفعل بشكل عام، فإن الإنسان يفكر أولاً في الذهاب إلى مكان ما ثم يذهب إليها. فمثلاً تفكر أولاً في الذهاب إلى المدرسة ثم تذهب إليها عمليًّا. أو تفكر أولاً في الأكل ثم تأكل شيئًا. ولكن قد جاء «ثم» هنا قبل العلم، رغم أن العلم يكون قبل الفعل، فثبت من ذلك أن «ثم» يفيد هنا بيان الدرجة، أي أننا أعلم بدرجة العذاب الذي يستحق كل واحد منهم.

لقد قال المفسرون هنا إنه كان المفروض أن يقال (أيَّهم) بدلاً من ﴿أيُّهم﴾. وقال الخليل إنه مرفوع لكونه حكاية، إذ التقدير: «ثم لننزعنّ الذين يقال لهم أيُّهم أشدُّ على الرحمن عتيًّا». بينما قال الآخرون إن قوله تعالى ﴿مِن كل شيعة﴾، مفعول به لفعل ﴿لَنَنزعَنّ﴾، وأما قوله تعالى ﴿أيهم أشد على الرحمن عتيًّا﴾ فهو كلام جديد، فإن السائل حين قال مَن هؤلاء الذين ينزعهم الله من كل شيعة، قيل له ﴿أيُّهم أشد على الرحمن عتيًّا﴾.

بينما قال البعض أنه قد ورد في قراءةٍ ﴿أيَّهم﴾ أيضًا. (فتح البيان، والقرطبي)

أما قوله تعالى ﴿ثم لنحن أعلَمُ بالذين هم أَولى بها صِليًّا﴾ فليكن معلومًا عن لفظ «صِليًّا» أنه لا يعني الاحتراق بالنار فقط، بل يعني أيضًا مقاساة حرّها،

كما هو مذكور في شرح كلمات هذه الآية.

وقوله تعالى ﴿بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا﴾يمكن أن يفسر بمفهومين: أولهما: الذين هم أولى الناس بالنار صليًّا، والثاني: الذين هم أولى بالنار صليًّا من بين أنواع العذاب الأخرى.

وهنا ينشأ سؤال وهو: من هم أولئك الناس الذين يكون هؤلاء أولى منهم بالنار صليًّا، أو ما هي أنواع العذاب الأخرى التي يكون هؤلاء أولى بالنار صليًّا منها؟

والجواب أن الحديث يدور هنا عن أصحاب عقيدة الثالوث، ويتضح من القرآن الكريم أن رقي أصحاب عقيدة الثالوث سيكون منوطًا بأجهزة نارية بشكل عام، وأنهم سيخوّفون أعداءهم على العموم بالأسلحة النارية. فالبنادق والمدافع والقنابل، سواء العادية منها أو الذرية، كلها أسلحة نارية. بينما كانت أسلحة الناس من قبل السيوف والرماح والمقامع والمقاليع والأحجار. ولكن لما جاء زمن يأجوج ومأجوج استخدموا النار، فإن اسمهم نفسه يدل على النار، حيث إنه مشتق من الأجّ الذي يعني النار (الأقرب: كلمة «أجّ»). فكأن اسمهم هذا كان ينطوي على نبأ بأنهم سيستخدمون النار بكثرة، وسيتغلبون على العالم باستخدام الأسلحة النارية. وبالفعل فإن المسدس والبندقية والرشاش والقنبلة، بما فيها القنبلة النووية، كلها وثيقة الصلة بالنار، وهذه هي الوسيلة التي يتغلب بها هؤلاء على الأعداء. لقد هزموا المسلمين بهذه الأسلحة نفسها. إن المسلمين، لسوء حظهم، لم يستخدموا هذه الأسلحة لأن مشايخهم قاموا بتضليلهم، حيث أفتوا أنه لا يحق لأحد سوى الله تعالى أن يعاقِب بالنار، أو قالوا إنه سحر يقتلون به أناسًا كثيرين في لمح البصر، مع أن السلاح لا يقتل إلا شخصًا؛ وإذا تعلم أحد السحر صار قرينًا للشيطان. فاستعمال هذه المخترعات حرام. إذًا فالدمار الذي حل بالمسلمين إنما حل بسبب فتاوى المشايخ أو الأسلحة النارية التي استخدمها الشعوب الغربية ضدهم.

ومن أجل ذلك يقول الله تعالى إنه يوم يأتي عذابنا يكون هؤلاء القوم أَولى الناس بالنار صليًّا لكونهم أكثر الناس استخدامًا للنار. وعندي أنه لو جُمعت كل الأسلحة التي توجد عند الشعوب الأخرى مجتمعة لما بلغت مقدار الأسلحة التي تملكها أصغر حكومة من هذه الحكومات الغربية. فمثلاً إن ما تملكه كل من الهند وباكستان والصين من أسلحة لا تساوي كلها ما عند فرنسا وحدها من أسلحة. ولذلك يقول الله تعالى إن بلاد الغرب هذه لما كانت أسبق شعوب العالم لعبًا بالنار فسنذيقهم عذاب النار أكثر من أي شعب آخر، ويومئذ يدرك هؤلاء مَن كان أولى بالنار، هم أم غيرهم؟

والمفهوم الثاني هو أنهم أولى بالنار صليًّا من أي عذاب آخر. ذلك أن العذاب صنوف وألوان، فمثلاً يمكن أن يكون العذاب بالماء أو المرض أو البرد القارس أو المشاهد المخيفة. ولكن بما أن هؤلاء القوم قد صبّوا على الشعوب الأخرى عذاب النار صبًّا فسيكون عذاب النار هو الأولى بهم من أي عقاب آخر؛ بمعنى أنهم سيعذَّبون بعذاب فيه الحرقة واللوعة والنار. وهذا يكشف أن العذاب المقدر لهم هو عذاب اللوعة والحرقة.

(يُتبع)

من نسائم الروضة النبوية الشريفة

علم القرآن خير ما يُحسَد المرءُ عليه

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لاَ حَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ فَسَمِعَهُ جَارٌ لَهُ فَقَالَ: لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فُلاَنٌ فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً، فَهُوَ يُهْلِكُهُ فِي الْحَقِ. فَقَالَ رَجُلٌ: لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فُلاَنٌ فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ». (صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن)

عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ﷺ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ أَفْضَلَكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَه». (صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن)

عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الأُتْرُجَّةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ لاَ رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ، لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ». (صحيح البخاري، كتاب الأطعمة)

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ كَالْبَيْتِ الْخَرِبِ». (جامع الترمذي، كتاب ثواب القرآن عن رسول الله ﷺ)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لاَ تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ وَإِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ الْبَقَرَةُ لاَ يَدْخُلُهُ الشَّيْطَانُ». (جامع الترمذي، كتاب ثواب القرآن عن رسول الله ﷺ)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالْحَسَدَ فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ». (سنن أبي داود، كتاب الأدب)

عَنْ أَبِي، هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لاَ تَحَاسَدُوا وَلاَ تَبَاغَضُوا وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ تَحَسَّسُوا وَلاَ تَنَاجَشُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا». (صحيح المسلم، كتاب البر والصلة والآداب)

هكذا تكلم المسيح الموعود

ليلة القدر، ماهيتها، وفضلها

فيا أيها الإخوة، لا بد من نزول النور من السماء عند انتشار الظلام. لقد بيّنت في هذا المقال أن الله تعالى يقول في سورة القدر بل يبشر المؤمنين أن كلامه ونبيَّه قد أُنزلا من السماء في ليلة القدر. وكل مجدد ومصلح يأتي من الله إنما ينزل في ليلة القدر. وما أدراكم ما ليلة القدر؟ ليلة القدر اسم آخر لزمن مظلم بلغ فيه الظلام منتهاه. فيقتضي ذلك الزمن بالطبع أن ينزل فيه نور لدحْرِ ذلك الظلام. فقد سمِّي هذا الزمان ليلة القدر على سبيل المجاز. إنه ليس ليلا على وجه الحقيقة بل هو زمنٌ يشبه الليل لظلمته. عندما يمضي – على وفاة نبي أو نائبه الروحاني – ألف شهر الذي ينذر باقتراب عمر المرء من نهايته ويُهدد بوداع حواسه يسدل هذا الليل أستاره. عندها تُبذر سرًّا بأمر من السماء بذرة مجيء مصلح أو مصلحين كثيرين فيُعَدّون في الخفاء ليظهروا على رأس قرن جديد. فإلى هذا الأمر يشير الله جلّ شأنه في قوله: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ أي أن الذي يرى نور ليلة القدر هذه ويتشرّف بصحبة مصلح الوقت خيرٌ من شيخ بلغَ ثمانين حولا ولم يشهدَ هذا الوقت المنير. وإذا وجد من هذا الوقت ساعة واحدة كانت أفضل من ألف شهر مضت قبلها. ولكن ما هو وجه الأفضلية؟ لأن في تلك الليلة تنزل من السماء ملائكة الله وروح القدس مع ذلك المصلح بإذن الرب الجليل. ولا تنزل عبثا بل تنزل على القلوب المهيأة وتفتح عليها سبل السلام. فتظل عاكفة على فتح السبل كلها ورفع الحجب كلها حتى تزول ظلمة الغفلة وينبلج صبح الهداية.

فيا أيها المسلمون اقرأوا هذه الآيات بتمعن وانظروا كيف يصِفُ الله هذا الزمن الذي يُنزِل فيه مصلحا إلى الدنيا عند الضرورة. أفلا تقدرون هذا الزمن؟ وهل ستنظرون إلى قول الله تعالى باستهزاء؟ (فتح الإسلام ص ٣٢ و٣٣)

القُرْآنُ الكَرِيمُ ذَرِيعَةُ هِدَايَةِ العَالَمَ ِفي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَان

خطبة الجمعة التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام بتاريخ ٢٠٢٣/٣/٣١م في مسجد مبارك، إسلام آباد ببريطانيا

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

إننا نواكب هذه الأيام شهر رمضان الكريم، وهو شهر ينشأ فيه جو روحاني، وفي جماعة المؤمنين يجب أن ينشأ هذا الجو. وفي هذا الشهر بجانب الصيام يتوجه المرء إلى العبادات أكثر ويجب أن يتوجه إليها. كما يهتم بتلاوة القرآن الكريم والاستماع إليه، وإذا أردنا الاستفادة من الصيام حقًّا، فعلينا أن نركز – إلى جانب عبادات أخرى – على تلاوة القرآن الكريم وسماعه، فلرمضان علاقة وطيدة بالقرآن، أو للقرآن الكريم علاقة برمضان. يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ (البقرة:١٨٦) ورد في بعض الروايات الموثوق بها أن أول وحي من القرآن نزل على رسول الله ﷺ كان في الرابع والعشرين من رمضان، ثم في كل رمضان كان جبريل عليه السلام يراجع القرآن الكريم مع الرسول

* العنوان الرئيسي والعناوين الفرعية من إضافة أسرة «التقوى»

ﷺ وفي السنة الأخيرة من حياته أكمل دورتَين من القرآن معه ﷺ، لذا فهناك أهمية خاصة لقراءة القرآن الكريم في رمضان. لذلك علينا أن نهتم في هذا الشهر بقراءة القرآن وسماعه وقراءة تفسيره بشكل خاص، وكذلك تُبث على أيم تي ايه برامج القرآن الكريم ودروسه فيجب الاهتمام بها أيضا، وإذا قرأنا مع تلاوة القرآن الكريم ترجمته وتفسيره واستمعنا له استطعنا أن نعرف أهمية الأحكام الواردة في القرآن الكريم ونجعلها جزءًا من حياتنا ونصوغ حياتنا بحسب تعاليمه ونرث أفضال الله تعالى. فإذا أردنا أن نكتسب من فيوض رمضان حقًّا فعلينا بتلاوة القرآن الكريم والتدبر فيه. والمساجد التي فيها تُلقى دروس القرآن الكريم يجب الاستماع إليها هناك.

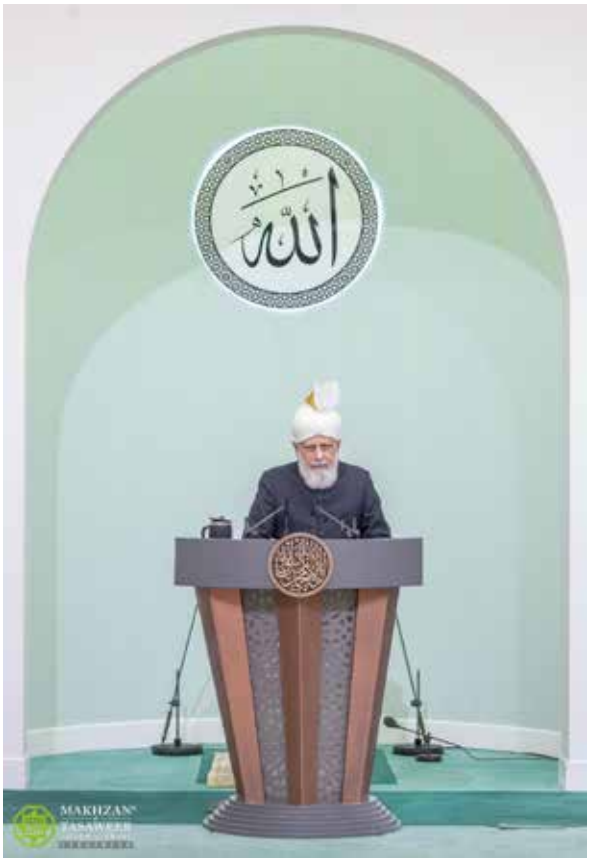

لقد كشف لنا المسيح الموعود عليه السلام في هذا الزمن أهمية القرآن الكريم ومحاسنه وأدلته الساطعة وإنني أتناولها منذ فترة في خطبي في ضوء مقتبسات المسيح الموعود عليه السلام، وعلينا سماع أقواله بهذا الشأن مرارا والتدبر فيها لكي يتيسر لنا فهم القرآن الكريم بشكل صحيح. وسوف أقدّم اليوم أيضا بعض مقتبسات المسيح الموعود عليه السلام.

القرآن الكريم شريعة دائمة

يقول حضرته عليه السلام وهو يبين أن القرآن شريعة أبدية ودائمة: «إن حِكم الله وأحكامه نوعانِ، بعضها أبدية ودائمة وبعضها تصدر نظرا إلى حاجات مؤقتة وآنية. مع أنها أيضا تكون مستقلة بحد ذاتها ولكنها تكون مؤقّتةً. فمثلا أحكام الصلاة أو الصوم في السفر تختلف عن الأحكام في الإقامة. (أي يُسمح أن تُقصر الصلاة في السفر وتُجمع، بينما في حال الإقامة يجب أداؤها كاملة، كذلك الصيام في السفر لا يجوز، أما في الأحوال العادية فيجب على كل صحيح الصيام في حال الإقامة، ثم قال حضرته عن حكم آخر) عندما تخرج المرأة من البيت ترتدي حجابا ولكنها ليست بحاجة إليه في البيت. (أمر المرأةَ بالالتزام بالحجاب في حالة الخروج من البيت، كما بين عمن يجب أن تحتجب في البيت وعمن لا تحتجب). ثم قال عليه السلام مقارنا بين القرآن من ناحية والتوراة والإنجيل

من ناحية أخرى: كذلك إن أحكام التوراة والإنجيل كانت منسجمة مع حاجات مؤقتة. أما الشريعة والكتاب الذي جاء به رسول الله ﷺ فهو كتاب أبدي وشريعة أبدية لذا ما قيل فيه هو كامل ومكتمل. (القرآن الكريم قانون دائم) ولو لم يأت القرآن أيضا لكان مقدرا مع ذلك أن تُنسخ التوراة والإنجيل لأنهما ما كانا قانونا دائما وأبديا.» (الملفوظات)

تبدو من هذه المقتبسات أهمية القرآن الكريم، وأن تعاليمه منسجمة مع جميع الظروف وكاملة وصالحة لكل زمن. يعترض المعترضون على الحجاب مثلا ويقولون إن الحجاب ليس ضروريا في هذا الزمن وفي بعض الأحيان تتأثر بناتنا أيضا، ولكن هؤلاء الناس أنفسهم أصبحوا يقرون بصلاحية تطبيق شريعته في هذا الزمن، فيقرّون بأن اختلاط الرجال والنساء في كثير من الأحيان يتسبب في مفاسد كبيرة. وتُنشر حول هذا الموضوع مقالات طويلة وبدأت تنظيمات النساء تثير ضجة الآن وترد أخبارها في الجرائد أيضا. وكذلك بدأ بعض الناس الآن يفكّرون في ضرورة نظام منفصل للرجال والنساء.

ثم يقول حضرة المسيح الموعود عليه السلام عن الهدف من بعثته وعن كون القرآن شريعة دائمة: «ألا فأصغوا أيضا إلى الغاية المرجوّة من بعثتي. إن الهدف والغاية من بعثتي هو تجديد الإسلام وتأييده فقط. لا تظنوا أني جئت لأعلّم شريعة جديدة أو أعطي أحكاما جديدة أو آتي بكتاب جديد. كلا، ومن رأى ذلك كان ضالا إلى أبعد الحدود ولا إيمان له. لقد خُتمت الشريعة والنبوة على النبي ﷺ، فلن تأتي الآن شريعة؛ لأن القرآن الكريم خاتَم الكتب، ولا مجال للنقص أو الزيادة فيه قيد أنملة. والصحيح حقًّا هو أن بركات النبي ﷺ وفيوضه، وتعليم القرآن الكريم وثمرات الهدى؛ لم تنقطع، بل ما زالت موجودة وتتجدد في كل زمان. وقد بعثني الله تعالى لإثبات تلك الفيوض والبركات.» (الملفوظات)

أي لا يمكن لكل واحد أن يفهم تعليم القرآن بل بعض الأمور تتطلب الشرح والتفسير ولذلك بعث الله تعالى حضرته في هذا الزمن الأخير.

القرآن وإصلاحات النفس الثلاث

في سياق حديث حضرته عليه السلام عن إعجاز القرآن قال:

القرآن معجزة لم يكن لها مثيل ولن يكون. إن باب فيوضه وبركاته مفتوح إلى الأبد. وسيبقى متميزاً ومتلألئًا في كل الأزمنة كما كان في زمن سيدنا ومولانا محمد ﷺ. إضافة إلى ذلك فليكن معلوما أن كلام كل شخص يكون بقدر همته وعزيمته، فبقدر ما تكون العزيمة والأهداف سامية يحتل كلام صاحبها المرتبة نفسها وتلاحَظ الصفة نفسها في الوحي الإلهي أيضا. أي بقدر ما يملك الموحى إليه عزيمة عالية سينزل عليه الكلام بالدرجة نفسها. (يجب التذكر هنا أن للوحي وللرسالة الإلهية أيضا مستويات) ولما كانت دائرة قوة النبي ﷺ وعزيمته واسعة جدا فإن المهمة التي كُلّف بها إنما هي ذات درجة ومرتبة لن يملك غيره –بالدرجة نفسها– القوة والعزيمة نفسها. (الملفوظات)

ثم قال عليه السلام: «إن نطاق تعاليم القرآن الكريم واسع

«... لا تظنوا أني جئت لأعلّم شريعة جديدة أو أعطي أحكاما جديدة أو آتي بكتاب جديد. كلا، ومن رأى ذلك كان ضالا إلى أبعد الحدود ولا إيمان له. لقد خُتمت الشريعة والنبوة على النبي ﷺ، فلن تأتي الآن شريعة؛ لأن القرآن الكريم خاتَم الكتب، ولا مجال للنقص أو الزيادة فيه قيد أنملة. والصحيح حقًّا هو أن بركات النبي ﷺ وفيوضه، وتعليم القرآن الكريم وثمرات الهدى؛ لم تنقطع، بل ما زالت موجودة وتتجدد في كل زمان. وقد بعثني الله تعالى لإثبات تلك الفيوض والبركات.»

جدا، فهو قانون أبدي لن يتبدل إلى يوم القيامة، وهو لكل قوم ولكل زمان، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ (الحجر:٢٢) أي أننا ننزل من كنوزنا بقدر معلوم. أما الإنجيل فجاء لسد حاجة ذلك العصر فقط، ولذلك يمكن تلخيصه في صفحة واحدة فقط. أما القرآن الكريم فكانت غايته إصلاح العصور كلها. كان هدفه الارتقاء بالإنسان من حالته الوحشية ليكون إنسانا، ثم إنسانًا مهذبا متحليا بالآداب الإنسانية، لكي يكون قادرًا على العمل بحدود الشرع وأحكامه، ثم ليكون إنسانا ربانيا. إنها كلمات مختصرة، إلا أن لها آلاف الشعب والفروع. لما كان اليهود والطبيعيون والمجوس وغيرهم من الأمم يعيشون عيشة انحراف وسوء، فقد خاطبهم النبي ﷺ جميعا بإعلام رباني وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (الأعراف:١٥٩)، لذا فكان لزاما أن يكون القرآن الكريم جامعًا للأحكام التي سبق صدورها في الماضي من حين لآخر، وحاويا كافة الحقائق التي وصلت من السماء إلى أهل الأرض على يد الأنبياء عبر العصور الغابرة. (أي يحوي التعاليم القديمة التي كانت مختصة بذاك الزمان) لقد أخذ القرآن الكريم في الاعتبار البشرية كلها، وليس أمة معينة أو بلدًا خاصا أو عصرًا خاصا، أما الإنجيل فكان اهتمامه بأمة معينة، ولذلك قال المسيح عليه السلام مرارا: «لَمْ أُرْسَلْ إِلَّا إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ». (الملفوظات)

فإن إعلان النبي ﷺ بأمر من الله تعالى أنه رسول الله إلى العالم كله لهو دليل على أن القرآن الكريم ذريعة لهداية العالم كله؛ فإنه أرشد الأقوام السابقة بحسب ظروفهم كما أن فيه أحكامًا مناسبة للأقوام الجديدة، وهذه هي الشريعة الأبدية التي نزلت على محمد رسول الله ﷺ وليس هناك شريعة أخرى بعدها.

التعاليم والنبوءات، معجزتان يتفرد بهما القرآن في هذا العصر

يتحدث حضرته عليه السلام عن أن كافة التعاليم مودعة في القرآن الكريم فيقول:

«إن القرآن الكريم حكمة وشريعة أبدية وهو مستودع التعاليم كلها، وإن معجزته الأولى هي تعليمه الأعلى، ومعجزته الثانية هي نبوءاته العظيمة الشأن. فكم هي عظيمة تلك النبوءات التي تتضمنها سورة الفاتحة وسورة التحريم وسورة النور! إن حياة النبي ﷺ في مكة زاخرة بالنبوءات ولو فكّر فيها عاقل بخشية الله لعلم كم من أنباء الغيب تلقاها رسول الله ﷺ! هل القول: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ حين كان القوم كلهم يعادونه ولم يكن هناك مواسٍ له أو رفيق، هو قول عادي؟ (ومعناه أن جَمعَ العدوِ سيتلقون هزيمة نكراء ويهربون مولّين أدبارهم. هل مِثل هذا القول أمرٌ هيّن؟!) كانت الأسباب والظروف تفتي أنه سيُقضى عليهم سريعا (أي كان يمكن القول نظرًا إلى الأسباب الظاهرة أنه سيتم القضاء عليهم) ولكنه ﷺ كان في تلك الظروف ينبئ بنجاحه وبخزي الأعداء وخسرانهم ثم يحدث وفق ما قاله تماما. (لقد أعطاه الله تعالى هذه النبوءة المذكورة في القرآن الكريم بمكة وفي الأيام الأولى التي كانت أيام الضعف الشديد، ثم كيف تحققت هذه النبوءة؟ لقد تحققت في غزوة الأحزاب –يقال أنها تحققت في غزوة الأحزاب وبعضهم يطبقونها على المواطن الأخرى أيضا– حين ولّت أحزاب الكفار دبرهم تاركين المسلمين وراءهم. ثم يقول حضرته عليه السلام:

«ثم كم كانت عظيمة وعديمة النظير تلك النبوءات التي تحدثت عن جماعة ستقوم بعد ١٣٠٠ عام وعن علاماتها وآثارها». (أي ما أعظم النبوءات المتعلقة بزمن المسيح الموعود، ولقد ذكرت بعضها في خطب سابقة، ولا تزال هذه النبوءات تتحق بالعظمة نفسها. قال حضرته عليه السلام: «قدّموا مقابلها أي نبوءة من أيّ كتاب في العالم، هل يمكن أن تبارزها نبوءات المسيح الناصري؟»

القرآن ومقاصد الشريعة

يذكر حضرته عليه السلام من ضمن محاسن تعاليم القرآن أن كل حكم من أحكامه معلّل بالغايات والمصالح، فيقول:

إنه لمن محاسن تعاليم القرآن الكريم أن وراء كل حكم من أحكامه علة وغاية ومصلحة، (أي أنه يهدف إلى تحقيق غايات ومصالح شتى) ومن أجل ذلك قد حث القرآن الكريم مرارا على إعمال العقل والفهم والتدبر والتفقه والإيمان. (أي ينبغي على المرء أن يستخدم عقله وتدبره وإيمانه) وهذا هو ما يميز القرآن المجيد عن الكتب الأخرى، إذ لم يجرؤ أي كتاب على عرض تعاليمه أمام النقد الدقيق والحر المبني على العقل والتدبر. لقد ضرب حضرته عليه السلام مثال الإنجيل فقال: إن مؤيدي الإنجيل الشطّار والمكّارين لما رأوا أن لا قِبل لتعاليمه أمام نقد العقل، أدخلوا في عقائدهم بمنتهى المكر والدجل أن الثالوث والفداء سِرّانِ ليس بوسع العقل البشري أن يعرف كنههما وحقيقتهما. (أي أنه علمٌ عميق للغاية ولا تستطيعون الوصول إليه، لذلك فاقبلوه كما هو وكما قيل) وعلى النقيض يعلّمنا الفرقان الحميد: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ﴾ (آل عمران ١٩٢ – ١٩٣)، أي: أن في خلق السماوات

إنه لمن محاسن تعاليم القرآن الكريم أن وراء كل حكم من أحكامه علة وغاية ومصلحة، (أي أنه يهدف إلى تحقيق غايات ومصالح شتى) ومن أجل ذلك قد حث القرآن الكريم مرارا على إعمال العقل والفهم والتدبر والتفقه والإيمان. (أي ينبغي على المرء أن يستخدم عقله وتدبره وإيمانه) وهذا هو ما يميز القرآن المجيد عن الكتب الأخرى، إذ لم يجرؤ أي كتاب على عرض تعاليمه أمام النقد الدقيق والحر المبني على العقل والتدبر.

والأرض وتناوب الليل والنهار إرشادا واضحا لأصحاب العقول إلى ذلك الإله الذي يدعو إليه دين الإسلام. فترى كيف تحث هذه الآية بوضوح أهل العقل على إعمال عقولهم. فتدبروا.

القرآن شريعة الفطرة

تحدث حضرته عليه السلام عن أن القرآن الكريم كتاب محفوظ وأن نواميس الطبيعة تشهد بلسان حالها على صدق تعاليم القرآن الكريم، فقال:

أما تعاليم القرآن الكريم فتشهد عليها نواميس الطبيعة بلسان حالها. قال الله تعالى ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ (الواقعة ٧٩ – ٨٠)، بل إنه محفوظ في صندوق متين من النواميس الطبيعية. ما هو المراد من قول الله تعالى بأن القرآن محفوظ في كتاب مكنون؟ المراد أنه ليس منحصرا في الأوراق، بل إنه لفي كتاب مكنون يسمى صحيفة النواميس الطبيعية، بمعنى أن كل النواميس الطبيعية تشهد على صدق تعاليم القرآن كلها. إن تعاليمه وبركاته ليست قصة وحكاية حتى يمحوها الزمان. بل الذي يفهمه ويعمل به فإنه سينال أفضال الله تعالى، ولكن يجب التنبه إلى هذا الأمر، وهو أن أسراره وعمق معانيه لا تنكشف إلا على المطهرين، لذلك لابد من الاستفاضة بصحبة من طهّره الله تعالى من عباده، وليس هو غير المسيح الموعود عليه السلام في هذا العصر، فلا بد لنا أن نتدبر فيما بيّنه لنا المسيح الموعود عليه السلام مستفيضًا بما أعطاه الله تعالى من العلوم. وإن تفاسير حضرته نفسَها مذكورة في أدبيات الجماعة الأحمدية وعلى ضوء علم حضرته أيضا.

لماذا سُمي القرآن الكريم بالذكر؟

يقول عنه المسيح الموعود عليه السلام: لقد سُمّي القرآن بالذكر، ذلك أنه يذكّر بالشريعة الكامنة في باطن الإنسان.

ثم قال حضرته عليه السلام: الواقع أن القرآن الكريم لم يأت بشرع جديد وإنما يذكّرنا بالشرع الكامن في الفطرة الإنسانية على شاكلة شتى القوى والكفاءات من حِلْم وإيثار وشجاعة وجبر وغضب وقناعة وغيرها. باختصار، إن القرآن جاء ليذكّرنا بفطرتنا الكامنة في جبلّتنا كما قال الله تعالى: ﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾

(الواقعة: ٧٩)، أي أنه ذلك الكتاب الكامن في صحيفة الفطرة الإنسانية، ولكن لم يكن بوسع كل إنسان أن يراه. (فعلينا أن نقرأ القرآن الكريم من هذا المنظور أيضا بأن القرآن الكريم يوجّه الكفاءات الفطرية لدى الإنسان إلى الفطرة الصحيحة، ويبرز القرآن الكريم الفطرة الحقيقية ويقدّمها في عصر يبتعد فيه الإنسان عنها. وبسبب هذا الابتعاد نلاحظ في هذا العصر ميلا إلى سَنّ بعض القوانين غير الفطرية وغير الأخلاقية، وكأن الإنسان يحاول مسخ هذه الفطرة. يقول الله تعالى بأنكم إذا فكّرتم في معاني القرآن الكريم، وتدبرتم فيه، وعملتم به، فإنه سيريكم المستويات العليا للفطرة الإنسانية. فلا بد من التدبر في القرآن الكريم وقراءته ومحاولة فهمه من هذا المنظور. وبهذا سنتّقي بأنفسنا مما يروّج من تسميم عقول الأولاد والكبار باسم الحرية، كما سنتمكن من الرد على أسئلة أولادنا الذين يسأل آباؤهم أن الأولاد يأتون بمثل هذه الأفكار من المدارس فكيف نردّ عليهم. فإذا تدبر الوالدن في القرآن الكريم وقرأوا تفسيره وطالعوا كتب الجماعة التي أُلّفت على ضوء أحكام القرآن الكريم، أمكنهم الرد على تساؤلات أولادهم. ثم قال حضرته عليه السلام: كذلك قد جاء في وصف هذا الكتاب أنه «الذكر»، وذلك ليُذكّر الإنسان عند قراءته بما أُودعَت فطرتُه من قوى باطنية وروحانية ونورِ قلب، هبةً من السماء. باختصار، قد أرى الله تعالى بإنزال القرآن الكريم معجزة روحانية، (فإن قرأتموه مرة بعد أخرى فإنه سيذكركم بهذا الأمر) ليكتشف الإنسانُ تلك المعارف والحقائق والخوارق الروحانية التي لم يكن يعلمها من قبل. ولكن المؤسف أن المسلمين نسوا علّة نزول القرآن المذكورة في قول الله تعالى: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: ٣)، ويعدّونه مجموعة قصص فارغة فحسب، ويعرضون عنه بغاية الإهمال والأنانية باعتباره أساطير الأولين، وذلك كما فعل مشركو العرب. ذلك العصر كان عصر بعثة الرسول ﷺ ونزولِ القرآن الذي جاء يذّكر الناس بالحقائق الضائعة من العالم، أما هذا العصر فهو الزمن الذي تنبأ عنه النبي ﷺ وقال إن أهل ذلك العصر سيقرأون القرآن ولكنه لن يجاوز حناجرهم. (وهذا ما نراه اليوم أن قرّاء القرآن لا حصر لهم ولكن العمل به مفقود. قال حضرته عليه السلام): وترون بأم أعينكم اليوم كيف أن الناس يقرأون القرآن بألحان عذبة وبطريقة رائعة، ولكنه لا يجاوز حناجرهم. (أي لا يُعمَل به)

وكما أن القرآن الكريم –الذي اسمه الآخر هو الذكر– نزل في العصر الأول لتذكير الناس بما في فطرتهم من قوى كامنة وحقائق منسية، كذلك في هذا العصر أيضا وبحسب وعد الله الموثق ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ١٠) قد جاء معلّمٌ من السماء، وهو المصداق لوعد الله تعالى في قوله: ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ (الجمعة:٤)، وهو ذلك الذي يتكلم بين ظهرانيكم الآن.

ذكر حضرته هذا الأمر منوّهًا إلى نفسه. ليت المسلمين يعقلون ويسمعون لمن أرسله الله تعالى، وينظرون إلى دواخلهم وإلى حاجة العصر وظروف المسلمين بشكل عام، ولا يحاولون الإساءة إلى الإسلام بتركيزهم على الفتاوى الظاهرة فحسب، ويفهمون حقيقة القرآن الكريم.

على أية حال، علينا نحن الأحمديين أن نظل نحاسب أنفسنا لنعرف إلى أي مدى نسعى لفهم حقيقة تعاليم القرآن الكريم ونعمل به.

ثم ذكر حضرته أن القرآن الكريم يريد أن يعرّف العلوم الحقّة، فيقول:

وإن الله تعالى كما يريد أن يخشاه الناس، كذلك يريد أن يتولد فيهم نور العلوم. (أي أنه لا يريد فقط أن يخشاه الناس بل ينبغي أن يتولد فيهم نور العلوم) ليجتازوا به منازل المعرفة. (لماذا يتولد فيهم نور العلوم؟ ذلك لكي تنشأ منه المعرفة، ويتوسع التفكير) لأن الاطّلاع على العلوم الحقة يخلق في الإنسان خشيةً صادقة من ناحية، ومن ناحية أخرى تؤدي به هذه العلومُ إلى عبادة الله. (فإذا فكر المؤمن بهذا الطريق وتدبر في القرآن الكريم واختبر العلوم الدنيوية –التي تحصّل عليها– على محك القرآن الكريم نشأت فيه تلك المعرفة المطلوبة وخوف الله وخشيته أيضا.)

معارف القرآن لا تُنال إلا بالتقوى

قال حضرته عليه السلام: هناك من الأشقياء الذين بسبب شدة انهماكهم في هذه العلوم المادية يُعرضون عن قضاء الله وقدَره وتنتابهم الشكوك في وجود الله تعالى أيضا، وهناك آخرون يؤمنون بالقضاء والقدر بحيث ينبذون هذه العلوم وراء ظهورهم كلية، (فإما أنهم باسم العلوم الدنيوية ينسون الله تعالى، أو أنهم تحت شعار الوصول إلى الله خافوا من العلوم وتخلوا عنها وقالوا عنها أنها باطلة)، قال حضرته عليه السلام: ولكن القرآن الكريم قد وجه إلى الأمرين على أكمل وجه. يريد القرآن الكريم إطْلاع الناس على العلوم الحقة ويوجههم إليها لأنها تولّد خشية الله، وكلما تقدم المرء في معرفة الله تولدت فيه عظمة الله ومحبته. كما يعلّم القرآن الإنسانَ الخضوعَ لقضاء الله وقدره أيضا ليتحلى بصفة التوكل على الله والثقة به، وليتعلم الرضا برضا الله، فينال السكينة والاطمئنان حقا، وهو الهدف الحقيقي من عقيدة النجاة. ثم قال حضرته: لقد أعطى الله تعالى هذه الأمة منبع العلوم الحقة

القرآن الكريم. ومن فاز بالحقائق والمعارف التي بينها القرآن الكريم والتي لا تنال إلا بالتقوى الحقيقية وخشية الله فإنه ينال ذلك العلم الذي يجعله مثيلا لأنبياء بني إسرائيل.

غير أنه مما لا شك فيه أن الذي لا يستخدم السلاح الذي أُعطيَه فالذنب ذنبه وليس ذنب السلاح. وهذا هو حال الناس اليوم، فمع أن المسلمين قد أُعطوا نعمة القرآنَ الكريم التي لا مثيل لها، والتي تنجيهم من كل ضلال وتخرجهم من كل ظلام، إلا أنهم قد نبذوه وهجروه ولم يبالوا بأحكامه، فكان مآلهم أن ابتعدوا عن الإسلام كثيراً.»

فكما قال المسيح الموعود عليه السلام إن المسلمين لم يعودوا مسلمين إلا بالاسم فقط بعد ابتعادهم عن تعليم القرآن الكريم العظيم. ينشر بعضهم برامج أو مقاطع صغيرة بين حين وآخر على وسائل التواصل الاجتماعي، ويتبين منها أن الذين يُجري معهم هؤلاء المقابلات لا يعرفون تعليم الإسلام أو تاريخه الأساسي أيضا. ومع كونهم مشايخ فإنهم بدعوى حماية عزة النبوة وباسم القرآن أو الصحابة يجأرون بالهتافات ضد الجماعة ويحاولون إلحاق الضرر بأفرادها. وصلتني رسالة من بنغلاديش تقول أن الأوباش عندما خرجوا في مسيرة ضد الجماعة وهاجموا أفرادها كان أحد الشباب يقذف الأحمديين بالحجارة، فقال له أحد الأحمديين: ما هذا الذي تفعله؟ أسمح لك القرآن الكريم بذلك؟ أهذا هو تعليم الإسلام؟ أخبرنا إذا ما كان ذلك مسموحا به، ونحن ننطق بالشهادتين. فألقى الشاب الحجارة بالأرض. إذن، عندما يحرض المشايخُ عامة الناس يشرعون في العمل بما يُرشدهم المشايخ إليه. ندعو الله تعالى أن ينقذنا من شرور هؤلاء الأشرار، ويوفقنا في شهر رمضان هذا وبعده أيضا أن نتعلم القرآن الكريم ونفهمه ويجنبنا نجاسات الدنيا. عليكم أن تهتموا برمضان أكثر من ذي قبل. ندعو الله تعالى أن ينقذ الأحمديين من كل شر وفي كل مكان، ويجعل الذين ليسوا قابلين للإصلاح في نظر الله عبرةً ليقدر الآخرون على العمل بأوامر الله تعالى. وادعوا للعالم بوجه عام أيضا لينقذ الله العالم من آفة الحرب.

حِكم وأقوَال

جمع وإعداد: ضحى أحمد

حضرة عمر بن الخطاب ﷺ:

* كونوا دعاة إلى الله وأنتم صامتون. قيل: وكيف ذلك؟ قال: بأخلاقكم.

* من وضع نفسه مواضع التهمة فلا يلومنّ من أساء به الظن.

* لا تُكثروا الكلام بغير ذكر الله، فإنّ كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوةٌ للقلب.

حضرة الإمام علي بن أبي طالب ﷺ:

* أشدُّ الذنوب ما استخفّ به صاحبه.

* من لم يملك لسانه ندم، ومن كتم سرّه كان الخيار بيده.

* خالطوا الناس مخالطةً إن متم حنّوا عليكم، وإن عشتم أحبّوكم.

الإمام الشافعي:

* العاقل من عقّله عقْله عن كلّ مذموم، ودله على كلّ محمود.

* كلُّ ما شغلك عن الله من أهلٍ ومالٍ وولدٍ فهو عليك وبالٌ، وإن كان محبوبًا.

جلال الدين الرومي:

* كن صامتًا حتى لا تسمعك الكلمات، وكن حاضرًا حتى لا تغيب عن المعنى.

* إن كنتَ تبحث عن الجنة، فافتح قلبك لا عينيك، فالله لا يُرى إلا بالبصيرة.

* في القلب جرحٌ لا يلتئم إلا بلمسةٍ من الله.

مصطفى لطفي المنفلوطي:

* الضعف ليس في أن تبكي، بل في ألا تستطيع البوح بما يُبكيك.

* من أراد السعادة فليزرع في نفسه بذر الرحمة، فإنها لا تثمر إلا حبًّا وطمأنينة.

مصطفى صادق الرافعي

* ليس المهم أن تُؤمن، بل أن يملأ إيمانك كلّ فراغٍ فيك.

* العقول الكبيرة لا تفرح بالمدح، لأنها تعرف قدرها قبل أن يُقال فيها شيء.

* من لم يجعل لله مكانًا في قلبه، جعل الله قلبه مكانًا للفراغ.

حقيقة «الحسد» بين اللغة والعقيدة وعلم النفس

مصر

سامح مصطفى

ظواهر في مجتمعنا

ينتشر في ثقافات عدة الاعتقاد بالحسد، خصوصا في المجتمعات النامية، وعلى الرغم من أن الإنسانية خطت عتبة القرن الحادي والعشرين، وما صاحب تلك الخطوة من تطور علمي هائل على شتى الأصعدة، إلا أن الاعتقاد بضرر الحسد أو ما يُسمى «العين» ما زال منتشرا في المجتمعات التي ما تزال تحتفظ بشيء من موروثها الثقافي القديم أو تعاليمها الدينية، حيث إن الدين في تلك المجتمعات كان ولا يزال عاملا مهما في تفسير الغامض من شتى ظواهر الكون المحيطة، ومنها الحسد، والذي نحن بصدد طرحه موضوعا لمادة هذا المقال.

شعوبنا وفكرة الحسد

ثمة عبارة شائعة كثيرا ما نسمعها حين تُطرح قضية «الحسد» على مائدة النقاش، حيث يقال مثلا: لماذا لا يؤثر الحسد إلا فينا كمجتمعات شرقية، بينما لا وجود له في الغرب؟!

وتنتاب بعض المتعلمين في مجتمعاتنا الإسلامية خواطر عن أن الخوف من الحسد قد يُعد ضربا من الشرك،

وقريبا من هذا السياق تحدث حضرة مرزا مسرور أحمد (أيده الله تعالى بنصره العزيز) مجيبا أحد السائلين عن هذا الأمر فقال: «إن الشعور المسيطر علينا بوقوعنا ضحية الحسد، أو تأثرنا بدعوة مظلوم، هذا الشعور لا يمكن وصفه بأنه، والعياذ بالله، ضرب من الشرك، لأن ما يحصل في كلتا الحالتين يحصل بأمر الله سبحانه وتعالى، لا بأمر الحاسد ولا بأمر المظلوم. أما الحاسد فيعبر عن رغبة غير مقصودة، وأما المظلوم فتخرج دعواته من الألم فيقبلها الله ويستجيب له.»

متأثرين في خوفهم هذا بالنظرة الحداثية إلى ظاهرة الحسد بوصفها ظاهرة غير علمية، على حد تعبير الحداثيين.. وقريبا من هذا السياق تحدث حضرة مرزا مسرور أحمد (أيده الله تعالى بنصره العزيز) مجيبا أحد السائلين عن هذا الأمر فقال: «إن الشعور المسيطر علينا بوقوعنا ضحية الحسد، أو تأثرنا بدعوة مظلوم، هذا الشعور لا يمكن وصفه بأنه، والعياذ بالله، ضرب من الشرك، لأن ما يحصل في كلتا الحالتين يحصل بأمر الله سبحانه وتعالى، لا بأمر الحاسد ولا بأمر المظلوم. أما الحاسد فيعبر عن رغبة غير مقصودة، وأما المظلوم فتخرج دعواته من الألم فيقبلها الله ويستجيب له.»[1]

هل الحسد قضية علمية؟!

اعتدنا في هذه الآونة أن نسمع بعضا من أنصاف المثقفين يتهمون محدِّثيهم بالجهل إذا ما طُرحت قضية الحسد لتفسير وقوع أحدهم في مشكلة أو ورطة أو تكبده خسارة ما، وهذا الاتهام بالجهل ليس إلا بسبب النظر إلى الحسد باعتباره مسلكا غير علمي لتفسير واقع ما، فهل قضية الحسد من القضايا غير العلمية بحسب زعم البعض؟! أم أن هناك قولا آخر؟! ولكي يمكننا وصف قضية ما بأنها «قضية علمية» لا بد لنا من أن نطبق عليها منهجا علميا، والمنهج العلمي مجموعة من الخطوات والإجراءات المتبعة للتحقق من صحة الفرضيات العلمية، وهذه الخطوات باختصار هي: الملاحظة، وصياغة الفرضية، والتجربة لأجل التحقق من الفرضية، وأخيرا الاستنتاج.

دعونا نطبق خطوات المنهج العلمي على ظاهرة الحسد، والذي كان يُزعَم إلى وقت قريب أنه لا سبيل إلى رصده وملاحظته أو قياسه، وبالتالي لا يمكن إجراء أي من التجارب العلمية عليه، ولا صياغته في أي إطار علمي، فهو لا يعتبر موضوعا علميا من الأساس! على الأقل إلى هذه اللحظة، ولكن لنتذكر جيدا أن مجالا كاملا مستقلا من مجالات العلوم التجريبية الآن، وهو علم النفس بكافة تفريعاته، لم يكن ينظر إليه إلى نهاية القرن التاسع عشر كعلم معتبر، وفي أحسن الأحوال كان يُنظر إليه بوصفه ضربا من الفلسفة.

إننا بالتقاطنا أول الخيط، أي بتحديد تعريف، ولو سطحي، لظاهرة الحسد، سنتمكن حتما من وضعها على مائدة البحث والتشريح، ومن ثم مناقشتها مناقشة علمية بحتة..

تعريف الحسد من منظور لغوي وقرآني

يقولون أن الحسد هو تمني زوال النعمة من يد الآخرين. وإذا يممنا شطر المعاجم اللغوية التراثية بحثا عن معنى الحسد في كلام العرب وجدنا أنَّ «حسده يَحْسِدُه ويَحْسُدُه، حَسَدًا وحُسودًا وحَسادَةً، وحَسَّدَه: تمنى أن تتحول إليه نعمته وفضيلته، أو يسلبهما»[٢].

وقال الجرجاني: «الحسد تمني زوال نعمة المحسود إلى الحاسد.»[٣]

وقال الكفوي: «الحسد اختلاف القلب على الناس؛ لكثرة الأموال والأملاك.»[٤]

وعرفه صاحب تفسير التحرير والتنوير فقال: «إحساس نفساني مركب من استحسان نعمة في الغير، مع تمني زوالها عنه؛ لأجل غيرة على اختصاص الغير بتلك الحالة، أو على مشاركته الحاسد.»[٥]

فتُجمِع المصادر العربية على أن الحسد شعور سلبي ينتاب النفس تجاه الغير. وقد ورد ذكر الحسد في القرآن الكريم في خمسة مواضع موزعة على أربع سور قرآنية، في قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.﴾[٦].

وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا.﴾[٧]..

وقوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا.﴾[٨]..

وأخيرا في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ.﴾[٩]..

فالواضح أن آيَ الذكر الحكيم يُفهم منها جميعا أن الحسد هو ذلك الشعور السلبي بتمني زوال النعمة والخير من يد الآخرين.

مَاذَا لَوْ كَانَ عَالَمُنَا خَالِيًا مِن الحَسَدِ؟!

لقد توصَّل لفيف من علماء الأنثروبولوجيا مؤخرا في إطار أبحاثهم في علم الإنسان والمجتمع القديم إلى أن الحسد كان يساعد أسلافنا البشر الأوائل على البقاء على قيد الحياة وتحولهم إلى كائنات اجتماعية. ويشير هؤلاء العلماء إلى أن الحسد شعور طبيعي، متجذر في المجتمع البشري مما يُسهم في تطوير الذات، لكنه يمكن أن يفسد المزاج بشكل كبير، وأحيانا قد يتسبب في الاكتئاب أو حتى يدفع الشخص الواقع تحت تأثيره (الحاسد) إلى القيام بأعمال عدوانية.[١٠]

وندهش حين نقرأ للمسيح الموعود عليه السلام كلاما بهذا المعنى، ليس نتيجة بحوث أكاديمية معمقة، ولكننا، نظرا إلى سموه وعمقه في آن، لا نتردد في القول بأنه عليه السلام كتبه بمعونة عليم خبير بالنفس الإنسانية، فمما كتب حضرته عليه السلام في معرض حديثه عن الأخلاق الإنسانية وأنها ظل للأخلاق الإلهية، ذاكرًا الحسد

وندهش حين نقرأ للمسيح الموعود عليه السلام كلاما بهذا المعنى، ليس نتيجة بحوث أكاديمية معمقة، ولكننا، نظرا إلى سموه وعمقه في آن، لا نتردد في القول بأنه عليه السلام كتبه بمعونة خبير مطلق بالنفس الإنسانية، فمما كتب حضرته عليه السلام في معرض حديثه عن الأخلاق الإنسانية وأنها ظل للأخلاق الإلهية، ذاكرًا الحسد كخُلُق إنساني: «الحق أن أخلاق الإنسان كلها ظل الأخلاق الإلـهية لأن روح الإنسان من الله، ولكن بسبب الإفراط والتفريط أو سوء الاستخدام تبدو تلك الصفات بصورة مكروهة في الناس الناقصين.

كخُلُق إنساني: «الحق أن أخلاق الإنسان كلها ظل الأخلاق الإلهية لأن روح الإنسان من الله، ولكن بسبب الإفراط والتفريط أو سوء الاستخدام تبدو تلك الصفات بصورة مكروهة في الناس الناقصين. فمثلا إن الحسد خُلق سيئ جدا في الإنسان إذ يود صاحبه أن يُحرم شخصٌ من نعمة معينة ويحوزها هو. ولكن حقيقة الحسد أن الإنسان لا يقبل أن يشاركه أحد في كمالٍ حصل عليه. فالحق أنها صفة من صفات الله تعالى الذي يود أن يرى نفسه واحدا دون شريك. ولكن بسبب سوء الاستخدام صارت هذه الصفة الحميدة مكروهة. ولكنها ليست مذمومة من منطلق أن يتمنّى الإنسان أن يكسب قصب السبق في الكمال ويودَّ أن يرى نفسه في مقام الوحدة والانفراد في الروحانية.»[١١]

إذن لا توجد في الإنسان قوة سيئة، بل إن كل القوى المودعة في نفس الإنسان هي قوى فطرية ضرورية، وسوء استخدامها فقط هو ما يجعلها سيئة، وقياسا على ذلك تُعدّ صفة الحسد سيئة جدا لأن الحاسد يتمنى زوال النعمة من عند غيره ويريد أن يحتكرها لنفسه. وكذلك سائر الأخلاق الرذيلة، كلها حالات مشوَّهة من الأخلاق الفاضلة.

الحسد إذن، من خلال ما تقدَّم، طاقة نفسية وقوة خلقية تنشأ من نزوعنا إلى الكمال، وإن لم توجَّهْ تلك الطاقة توجيها رشيدا تحولت إلى قوة شيطانية تدمر صاحبها ومن حوله. وفي دراسة ضمن مجال علم النفس الاجتماعي أجراها باحثان إيرانيان من جامعة كاشان، بالتعاون مع باحث ثالث في مجال العلوم الشرعية من جامعة معارف القرآن والعترة بمدينة أصفهان الإيرانية، كشفت نتائج هذه الدراسة بالتماشي مع المكتشفات البحثيّة الأخرى المتوصَّل إليها سلفا في مجالات علم النفس، أنّ سلوك الحسد، أو ما أطلقت عليه الدراسة مصطلح «الحسادة» من التصرّفات الّتي تكمن جذورها في التجارب السيّئة لعهد الطفولة وفي التعلّم الناقص للسلوك الأخلاقيّ القويم، كما كشفت متماشيةً مع الدراسات السابقة أنّ جذور الحسد يمكن تتبعها في الخلفيّات العائليّة كالتمييز بين الأولاد في نطاق الأسرة الواحدة، أو انعدام الشعور بالأمن، والغفلة عن الأساليب

بعد أن توصلنا إلى حقيقة مفادها أن الحسد سلوك فطري مشوَّه، بقي أن نسعى لعلاج هذا التشوُّه وتقويمه للعودة به إلى الفطرة الأولى النقية...، يصف سيدنا المصلح الموعود ﷺ علاجا لشعور الحسد، يمكن أن يستفيد منه الفرد والمجتمع على السواء، فيقول حضرته في معرض تفسيره لقول الله تعالى من سورة طه: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى.﴾، فيقول ﷺ: «يصاب الإنسان أحيانا بالطمع برؤية ما لدى الآخر من الثروة والمال، ويتمنى أن تنتقل إليه، ولكن الله تعالى يُحذِّر المسلمين هنا من أن يصيبهم الطمع برؤية تقدم الشعوب الأوربية وثرائها المتراكم الهائل، لأن ثراءها نفسه سيتسبب في هلاكها في نهاية المطاف...»

الصحيحة في تربية الأولاد، وخلق الشعور بالنقص لديهم، وعدم الاهتمام بالمواهب الفرديّة وترقيتها، والنموّ الضعيف في مجال احترام الذات[١٢]. ما يهمنا من نتائج هذه الدراسة هو توصلها إلى نفس النتيجة التي أجملها المسيح الموعود عليه السلام في أن الحسد سلوك أخلاقي فطري، ولكن جرى عليه التشوُّه.

العلاج الأمثل

بعد أن توصلنا إلى حقيقة مفادها أن الحسد سلوك فطري مشوَّه، بقي أن نسعى لعلاج هذا التشوُّه وتقويمه للعودة به إلى الفطرة الأولى النقية. وفي إشارة موجزة ومركزة في آن، يصف سيدنا المصلح الموعود ﷺ علاجا لشعور الحسد، يمكن أن يستفيد منه الفرد والمجتمع على السواء، فيقول حضرته في معرض تفسيره لقول الله تعالى من سورة طه: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى.﴾[١٣]، فيقول ﷺ: «يصاب الإنسان أحيانا بالطمع برؤية ما لدى الآخر من الثروة والمال، ويتمنى أن تنتقل إليه، ولكن الله تعالى يُحذِّر المسلمين هنا من أن يصيبهم الطمع برؤية تقدم الشعوب الأوربية وثرائها المتراكم الهائل، لأن ثراءها نفسه سيتسبب في هلاكها في نهاية المطاف...»[١٤].. العجيب فيما أشارت إليه آية (طه: ١٣٢) السالفة أن الحسد منشؤه العين، وبالفعل إن المرء تتولد لديه مشاعر الحسد من خلال نظرة عينيه إلى نجاحات الآخرين، بينما لا تنشأ نفس المشاعر من خلال الحواس الأخرى، كالسمع مثلا! فكان النهي القرآني عن مد نظرة العينين إلى ما بحوزة الآخرين علاجا فعالا لمشاعر الحسد الضارة بصاحبها ومن حوله.

الهوامش:

١. Answers to every day issues Al Hakam

٢. الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مادة "ح س د"

٣. الشريف الجرجاني، التعريفات، ص ٨٧

٤. الكفوي، الكليات، ص ٤٠٨

٥. الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ٦٢٩/٣٠

٦. (البقرة: ١١٠)

٧. (النساء: ٥٥)

٨. (الفتح: ١٦)

٩. (الفلق: ٦)

١٠. تقرير لوكالة الأنباء الروسية "سبوتنيك"

١١. مرزا غلام أحمد القاديانى، نسيم الدعوة

١٢. انظر: شهاب الدين ذو الفقاري وآخرون، "دراسة بعض آثار الحسد على الصحة النفسية من وجهة نظر الإسلام وعلم النفس"

١٣. (طه: ١٣٢)

١٤. مرزا بشير الدين محمود أحمد، التفسير الكبير، مجلد ٥، ص٥٦٤، الطبعة العربية الأولى.

تورُّط وسائل الإعلام المعاصرة في جريمة انتزاع إنسانية الإنسان

المملكة المتحدة
عبادة بربوش

من العجيب أن ما أتى به الإنسان الحديث من مستحدثات بات يأتي بنتائج مناقضة لما وضع من أجله، هذا ما تشهد به الملاحظة اليومية، فقد استُحدِثت بالفعل مخترعات كثيرة لرفاهية البشرية، ثم ما كان منها إلا أن تصبح أداة جناية البشرية على نفسها. ولسنا في هذا السطور بصدد سرد قائمة المستحدثات التي خيَّبت أمل الإنسان وضرَّته من حيث أراد أن تنفعه، وإنما سنضع أيدينا على واحد من تلك المستحدثات، ثم نشره وتعميمه ثانيا. حديثنا عن وسائل الإعلام والاتصال، تلك الآلة الجبارة التي يرجع إليها سر شكوى الإنسانية المعاصرة وأنينها.

ولتحديد ما نحن بصدد عرضه في هذا السطور، فإننا نريد من مصطلح «وسائل الإعلام والاتصال» كل ما من شأنه تبادل الأفكار وترويجها على كافة الأصعدة، نفسيا وسلوكيا واجتماعيا وثقافيا واقتصاديا وسياسيا، عبر آلة أو قناة اتصال محددة، بدءا من الصحف التي أخذت حركة نشرها في الظهور خلال القرون الأخيرة،

... كل ذلك يدفعنا دفعا للتساؤل عن السر الخفي وراء تغيُّر مسار الابتكارات والمخترعات البشرية العظيمة، وكيف تحولت عبر الزمان من وسائل تيسير للحياة البشرية إلى سُمٍّ زعاف كاف لتدميرها والقضاء عليها! لا بد لنا إذن من القول بأن كثيرا من المستحدثات والرفاهيات عبر العصور إنما تحولت إلى معاول هدم، وابتعدت عن أداء وظيفتها التي وُضِعت لأجلها، نظرا إلى ابتعاد البشرية (على إطلاقها) عن الغاية التي من أجلها خُلِقت.

وذلك بعد اختراع "غوتنبرغ" لأول مطبعة ميكانيكية، ومرورا بالإعلام المسموع والمرئي إذاعيا وتلفزيونيا، ثم وصولا إلى الثورة التقنية الممثلة في ما ندعوه الآن بـ "الثورة الصناعية الرابعة"، والتي جاءت ترتبا على التوافر الواسع للتقنيات الرقمية التي أوجدتها الثورة الصناعية الثالثة، بما أحدث تواليًا وتتابعا في الابتكارات التكنولوجية والرقمية بشكل فيه مزيج من التداخلات التقنية التي تتفاعل مع بعضها البعض من خلال الخوارزميات المبتكرة لتنتج بذلك تقنيات الثورة الصناعية الرابعة التي من أهمها: الذكاء الاصطناعي، والطباعة ثلاثية الأبعاد، والبيانات الضخمة، والروبوتات، وإنترنت الأشياء، والتكنولوجيا الحيوية، والحوسبة الكمية، والمركبات ذاتية القيادة، والأمن السيبراني، وغيرها[1]. وفي هذا العصر الذي يتسم بالحداثة في كل شيء، فإن وسائل الإعلام والاتصال من آلات كالحواسيب بأنواعها، وهواتف لوحية ومحمولة، وما إلى ذلك من برامج وتطبيقات تعد بالمئات، إن لم نقل بالآلاف، كلها تسهم بصورة واضحة في تشكيل ملامح هذا العصر ومشكلاته.

الغريب في أمر تلك الوسائل، ومن بينها وسائل التواصل الاجتماعي بطبيعة الحال، التي بات اسمها هذا على غير مسمى، أن أغلبها، تم إنتاجه حسب رأي كثير من المتخصصين لغايات خبيثة أصلا، سواء بمبادرة أفراد، أو برعاية مؤسسات وحكومات، كما يرون أن تطبيق facebook تم إطلاقه للتجسس؟! وهو الذي نشبت من خلاله أشد الفتن السياسية في بقاع شتى. لقد اعترف صاحب هذا التطبيق ومطوره بالأغراض الخبيثة التي دُشن لأجلها، والشريحة العظمى من مستخدميه على علم تام بخطورة استخدامه والعكوف عليه طويلا. كل ذلك يدفعنا دفعا للتساؤل عن السر الخفي وراء تغيُّر مسار الابتكارات والمخترعات البشرية العظيمة، وكيف تحولت عبر الزمان من وسائل تيسير للحياة البشرية إلى سُمّ زعاف كاف لتدميرها والقضاء عليها! لا بد لنا إذن من القول بأن كثيرا من المستحدثات والرفاهيات عبر العصور إنما تحولت إلى معاول هدم، وابتعدت عن أداء وظيفتها التي وُضِعت لأجلها، نظرا إلى ابتعاد البشرية (على إطلاقها) عن الغاية التي من أجلها خُلِقت. ولعل هذا ما جاء الإنباء به في سياق قول الله تعالى في سورة العصر: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ

آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ.﴾[٢].. الرسالة المضمَّنة في هذه السورة أن السلام الحقيقي والسعادة لن يمنحا إلا لأولئك الذين يسعون جاهدين للقيام بالأعمال الصالحة والمحافظة على الصلة بخالقهم. لقد ركز الله تعالى في القرآن الكريم بشكل واضح على حقوق العباد إلى جانب حقوق الله.

الانعزالية والنزعة الفردية والقضاء على عاطفة المواساة

كثيرة هي الآثار النفسية الوخيمة التي يسببها الاستخدام غير الواعي لوسائل الإعلام والاتصال، تلك الآثار التي بتنا نعرف منها «الإدمان النفسي»، بما يتضمنه مصطلح الإدمان من معان كارثية، تنسحب حتى على المظاهر الحيوية العضوية للجسد، تمامًا كما تفعل المخدرات العقاقيرية[٣]، هذا على الصعيد النفسي، الأخطر من ذلك، ما تسببه وتنشره وسائل الإعلام والاتصال العصرية على الصعيد الاجتماعي، من قضائها على عاطفة مواساة خلق الله تعالى، والتي هي «صفة لو هجرها الإنسان لتحوَّل وحشًا بالتدريج، لأنها مطلب أساس لإنسانية الإنسان»[٤]. فكيف يا ترى تُقوِّض تلك المستحدثات عاطفة المواساة فينا؟!

وفي الوقت الذي يسعى فيه أغلب الناس إلى جعل «وجودهم» مؤثرا، فإن قسماً كبيراً من وسائل التواصل الاجتماعي يدور حول «الأنا». وتغذي الفردية موقف «أنا أولاً» الذي يجعل من الصعب على كثير من الناس الاعتراف بنضال الكادحين أو من هم أقل حظًا، أو من يضحون في سبيل الصالح الجماعي[٥]. وتتأثر هذه النزعة الفردية بالعديد من العوامل الأخرى.

يلاحظ أن تلاشي عاطفة المواساة يرجع ضمن أحد أسبابه إلى شعور المرء بالانعزالية، وأنه يعيش بمفرده، بعد أن أصبح تواصل عقول الأشخاص وأجسامهم، في ظل سيادة العالم الافتراضي، مع بيئات وسيطة بدلًا من التفاعل المباشر، حيث يقضي البشر أوقاتا طويلة من يومهم في التنقل بين بيئات افتراضية غير واقعية يعتمدون عليها بشكل كبير[٦]. كما غيرت وسائل التواصل الاجتماعي أيضًا من الطريقة التي يتفاعل بها الأفراد مع بعضهم البعض، فبعد أن كان يتم قضاء وقت الفراغ مع الأسرة والأصدقاء في المتنزهات والنوادي والمكتبات أصبح التواصل والتفاعل ومشاركة المعلومات يتم عن طريق الأجهزة الإلكترونية ومواقع التواصل الاجتماعي[٧].

إن خطورة نبذ عاطفة المواساة تتبدى في عاقبتها الوخيمة، والممثلة في نبذ مفتقدها عبادةَ ربه الخالق كليًّا بمضي الوقت، ذلك لأن العبادة في جوهرها قسمان اثنان، ذكرهما المسيح الموعود عليه السلام بقوله: «توحيد الله ومحبته وطاعة الخالق عز وجل صاحب الصفات الحسنى، وثانيا الإحسان إلى الإخوان والناس». عندما يكون هدفنا في الحياة هو الربح، والسعي وراء المتعة، والحصول على المنصب، فإن هذا لا يترك سوى القليل من الوقت والطاقة والقدرة على التركيز على الأهداف التي حددها الله تعالى. لقد أصبح مجتمعنا غارقًا في ثقافة «الأنا»؛ وتشير دراسة حديثة نشرت في مجلة علم النفس إلى أن الناس في جميع أنحاء العالم أصبحوا أكثر فردية مع مرور الوقت. ووسائل التواصل الاجتماعي، رغم أنها تربطنا بالآخرين، يمكنها أن تجعل الإنسان أنانيًا.

المادية، أم الشرور

أحد أكثر الاتجاهات السائدة لفساد المجتمع اليوم

يلاحظ أن تلاشي عاطفة المواساة يرجع ضمن أحد أسبابه إلى شعور المرء بالانعزالية، وأنه يعيش بمفرده، بعد أن أصبح تواصل عقول الأشخاص وأجسامهم، في ظل سيادة العالم الافتراضي، مع بيئات وسيطة بدلًا من التفاعل المباشر، حيث يقضي البشر أوقاتا طويلة من يومهم في التنقل بين بيئات افتراضية غير واقعية يعتمدون عليها بشكل كبير

هي المادية. كثيرون يجهلون عواقب الإسراف المادي. ويرتبط هذا بانخفاض مستويات الرفاهية، مثل الافتقار إلى التفاعل الاجتماعي، والمزيد من النفايات البيئية والدمار، وضعف النتائج الأكاديمية. ويرتبط هذا أيضًا بمزيد من مشاكل الإنفاق والديون. وجدت دراسة حديثة أجريت في جامعة بايلور، أن الأفراد الأكثر مادية لديهم مستويات أقل من الرضا عن الحياة، وكانوا أكثر عرضة للإصابة بالاكتئاب. وكشفت الدراسة أيضًا أن معدلات الاكتئاب لدى المراهقين بدأت في الارتفاع منذ عام ٢٠١٢، عندما بدأ الأطفال الصغار في استخدام وسائل التواصل الاجتماعي بشكل متكرر. وفي المقابل، أحدث ذلك تحولًا جذريًا في طبيعة العلاقات مع الأقران، وفي العلاقات الأسرية والأنشطة اليومية. وذلك لأن المادية أصبحت الآن مدفوعة إلى حد كبير بالاستخدام المفرط لمنصات التواصل الاجتماعي مثل Snapchat وInstagram وFacebook، والتي تؤثر بشدة على المستخدمين للتطلع إلى معايير لا يمكن الوصول إليها من الجمال والثروة – وهي معايير في الحقيقة منفصلة تمامًا عن العالم الحقيقي. يتعلم الشباب عن الاستخدامات الإيجابية لوسائل التواصل الاجتماعي، نعم، هناك حالات معينة حيث يمكن للمجتمعات الإيجابية أن تجد مساحة مشتركة لمشاركة وجهات النظر المتشابهة. لقد شهدنا ذلك مؤخرًا من خلال الصراعات في غزة وأوكرانيا، وقد استخدم العالم هذه المنصات للوقوف في وجه الفظائع التي تُرتكب ضد المدنيين الأبرياء. ومع ذلك، نظرًا لاتساع منصات التواصل الاجتماعي، فمن السهل أن يقع الأطفال عرضة لمواد تتجاوز فهمهم. كما أنه يخاطر بتغذيتهم بالمعلومات المضللة وحتى التطرف. صرح "بيل غيتس"، صاحب شركة "ميكروسوفت" وأحد قادة التكنولوجيا الأكثر نفوذاً في العالم، أنه حدد مقدار وسائل التواصل الاجتماع التي يمكن لأطفاله استخدامها في المنزل. في عام ٢٠٠٧، وضع غيتس حدًا أقصى للوقت الذي يقضيه أمام الشاشة عندما بدأت ابنته في تطوير ارتباط غير صحي بلعبة فيديو. كما أنه لم يسمح لأطفاله بالحصول على هواتف محمولة حتى يبلغوا الرابعة عشرة. وأكد الرئيس التنفيذي لشركة Snapchat "إيفان شبيغل"، في مقابلة مع صحيفة "فايننشال تايمز" أنه وزوجته يمنحان أطفالهما ساعة ونصف فقط من الوقت أمام الشاشات أسبوعيًا. وخلال المقابلة، نصح شبيغل الآباء أيضًا بتقليل الوقت الذي يقضونه أمام الشاشات أو شرح ما يفعلونه على أجهزتهم حتى لا «ينظر الأطفال

إلى الجزء الخلفي الأسود للهاتف... [بدون] أي فكرة عما يحدث.»[٨]

التواصل الاجتماعي كما ينبغي أن يكون، ونصائح ثمينة

لقد خلق الله تعالى الأسرة الإنسانية الأولى من حال التقارب والتآلف بين أفرادها، أي أن صفة الإنسانية نشأت من ارتباط أولئك البشر البدائيين ببعضهم البعض، وقد تخلوا عن وحشيتهم مكونين أول المجتمعات الإنسانية البدائية، وما كان هذا ليتم لولا التآلف والتحابّ، ولعلنا بهذا التصور ندرك شيئًا من دقائق قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ.﴾[٩]، إنها حال التعلق، أي علاقة الحب والألفة التي تنشأ في جو السلام والإيمان بإله واحد. ولكي نفهم هذا الأمر الاجتماعي أكثر، أي كيف تنشأ المجتمعات، ما علينا سوى النظر في بناء الأسرة، فبإدراك كيفية نشوء الأسرة كنواة أولية للمجتمع، يمكننا بكل سهولة ويسر إدراك منشأ المجتمعات ومن ثم الإنسانية الأولى.[١٠]

لقد أرشدنا أمير المؤمنين (أيده الله) مرارًا وتكرارًا حول كيفية تجنب السمات السلبية للإنترنت التي يمكن أن تضرنا وكيفية التعامل معها. والاستفادة من المواد التي يمكن أن تفيدنا. خلال لقاء مع "الواقفات نو" من المملكة المتحدة، قال أمير المؤمنين: «إذا كنتن تعرفن الاستخدام السلبي لوسائل التواصل الاجتماعي، فيجب عليكن تجنب مثل هذا الاستخدام، إنها مسألة فتنة حيث يتم إغراء الشخص بسهولة، بحيث يفتح رابطًا ويصبح مهتمًا به ثم يفتح رابطًا آخر ثم آخر وهكذا، ولا يفكر المستخدم في التأثير السلبي عليكن. عندما ترين شيئًا ما على وسائل التواصل الاجتماعي يمكن أن يكون له تأثير سلبي عليك أو على الآخرين، قمن بإغلاقه على الفور. بدلا من ذلك، تزرن المواقع التي تزيد من معرفتكن. على سبيل المثال، شاهدن البرامج والأفلام الوثائقية العلمية أو التعليمية، واقرأن تعليقات ومقالات العلماء والأكاديميين».

نُصح العديد من الآباء بالحد من الوقت الذي يقضيه أطفالهم أمام الشاشات بعد أن أكدت الدراسات ارتفاع حالات استمالة الأطفال للأمور الجنسية. وفقًا لـ NSPCC، (هي الجمعية الوطنية لمنع القسوة ضد الأطفال، وهي مؤسسة خيرية بريطانية تعمل على إنهاء إساءة معاملة الأطفال وإهمالهم.) أن ١ من كل ٤ جرائم استمالة عبر الإنترنت في السنوات الخمس الماضية كانت ضد أطفال المدارس الابتدائية. ٧٣٪ من الجرائم تتعلق بـ Snapchat وMeta وأظهرت العديد من الدراسات أن الأطفال يقعون فريسة للمحتالين عبر الإنترنت لأنهم غالبًا ما يتم إهمالهم في المنزل. إنني أقدر أن العديد من الآباء يعملون بدوام كامل ويكافحون من أجل خلق التوازن بين العمل والحياة. ومع ذلك، من أجل ضمان نمو أطفالكم بصحة وسعادة، يجب على الآباء تخصيص جزء كبير من وقتهم للنمو الجسدي والأكاديمي والروحي لأطفالهم. لذا يرجى إحضار أطفالكم بانتظام إلى المسجد للتأكد من أنهم بصحبة جيدة. خذوا وقتًا للتعرف على أنشطتهم في المدرسة وبناء علاقة صداقة معهم.

إننا مخلوقون راغبين في التأثير، ومحبين للتقدير بطبيعتنا، لا ليلغي بعضنا بعضا، ولكن لنتكامل ونتعاون سويًّا ويلبي بعضنا حاجات بعض، فهكذا تنشأ المجتمعات

نُصح العديد من الآباء بالحد من الوقت الذي يقضيه أطفالهم أمام الشاشات بعد أن أكدت الدراسات ارتفاع حالات استمالة الأطفال للأمور الجنسية. وفقًا لـ NSPCC، ١ من كل ٤ جرائم استمالة عبر الإنترنت في السنوات الخمس الماضية كانت ضد أطفال المدارس الابتدائية. ٧٣٪ من الجرائم تتعلق بـ Snapchat وMeta وأظهرت العديد من الدراسات أن الأطفال يقعون فريسة للمحتالين عبر الإنترنت لأنهم غالبًا ما يتم إهمالهم في المنزل.

السوية.

الهوامش:

١. انظر: مريم فضلي، الثورة الصناعية الرابعة وتطور تقنيات الذكاء الاصطناعي، دورية الملف المصري، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، العدد ١٠٥، مايو ٢٠٢٣

٢. (العصر: ٢-٤)

٣. انظر: ثمر حفيظ، إدمان من نوع آخر، مجلة التقوى، يوليو ٢٠١٩

٤. انظر: مرزا غلام أحمد القادياني، الملفوظات، الإصدار الجديد، ج٤، ص٢١٦-٢١٧

٥. راجع: رفيق أحمد حياة، خطاب بعنوان «الوقاية من الاتجاهات السلبية في الوقت الراهن»، ألقي ضمن فعاليات الجلسة السنوية للجماعة الإسلامية الأحمدية بالمملكة المتحدة، بتاريخ الأحد ٢٨ يوليو ٢٠٢٤م.

6. Bailey, J & Bailenson, J., When Does Virtual Embodiment Change Our Minds?, Presence, 25 (3), 2016, p. 222 – 233.

7. Gaikwad, P., Effects of Social Media on Family Culture and Communication– A study of selected families in Pune, MIT-SOM PGRC KJIMRP 1st International Conference (Special Issue), Pune: MIT-SOM PGRC KJIMRP, 2015, pp. 251-259.

٨. رفيق أحمد حياة، «الوقاية من الاتجاهات السلبية في الوقت الراهن».

٩. (العلق: ٣)

١٠. هكذا تقام المجتمعات، افتتاحية مجلة التقوى، عدد نوفمبر ٢٠٢٠

مَنْ مِنَّا لا يُعاني من اضطراب الوسواس القهري؟!

الهند

د. ثمر حفيظ

قد تكون مصابا به دون أن تدري!

هل شعرت يومًا ما برغبة مُلحّة في التحقّق من قفل الباب مرارًا وتكرارًا، رغم علمك المسبق بأنه مُغلق بإحكام؟ أو وجدت نفسك مدفوعًا إلى تنظيف شيء ما مرارًا، رغم أنه يبدو نظيفًا بالفعل؟ أو تجد في نفسك حاجة متكررة إلى عد درجات السلم الذي تصعد عليه يوميًّا؟

هذه ليست مجرد عادات عابرة، بل قد تكون مؤشرات على الإصابة باضطراب الوسواس القهري، وهو حالة نفسية قد تتسلّل إلى تفاصيل الحياة اليومية وتعيقها بصمت.

يُعدُّ اضطراب الوسواس القهري Obsessive–compulsive disorder والذي يُعرف اختصارا بـ (OCD) اضطرابًا نفسيًا يُمثّل تحديًا كبيرًا للأفراد الذين يعانون منه، ويُعدُّ أحدَ أكثر الاضطرابات النفسية شيوعًا، ويُعرَفُ طبيًا بأنه حالةٌ مزمنةٌ تتَّسمُ بوجود أفكارٍ، وصورٍ، واندفاعاتٍ متكررةٍ وغير مرغوب فيها (الوساوس)، مما يؤدي إلى الشعور بالضيق والقلق. ونتيجةً لذلك، يقوم الأفراد بسلوكياتٍ متكررةٍ وقسريةٍ (الأفعال القهرية) تهدفُ إلى تخفيف هذا الضيق.

يُعدُّ اضطراب الوسواس القهري Obsessive-compulsive disorder والذي يُعرف اختصارا بـ (OCD) اضطرابًا نفسيًا يُمثِّل تحديًا كبيرًا للأفراد الذين يعانون منه، ويُعدُّ أحدَ أكثر الاضطرابات النفسية شيوعًا، ويُعرَفُ طبيًا بأنه حالةٌ مزمنةٌ تتَّسمُ بوجود أفكارٍ، وصورٍ، واندفاعاتٍ متكررةٍ وغير مرغوب فيها (الوساوس)، مما يؤدي إلى الشعور بالضيق والقلق. ونتيجةً لذلك، يقوم الأفراد بسلوكياتٍ متكررةٍ وقسريةٍ (الأفعال القهرية) تهدفُ إلى تخفيف هذا الضيق.

الوساوس والأفعال القهرية

اضطرابَ الوسواس القهري يتطلب وجودَ إحدى السِّمَتَيْنِ الرئيسيتَيْنِ أو كلتيهما معًا. السمة الأولى لاضطراب الوسواس القهري هي الوساوس، وتُعرَّفُ بأنها أفكارٌ، أو دوافع، أو صور ذهنيةٌ متكررةٌ ومستمرةٌ وغير مرغوب فيها، تسببُ قلقًا أو ضيقًا كبيرًا. ويُدركُ الفردُ المصابُ أنَّ هذه الوساوس هي من نتاج عقله.[١]

أما السمة الأخرى فهي الأفعال القهرية، وهي سلوكياتٌ متكررةٌ (مثل غسل اليدين، أو التحقق من الأشياء)، أو أفعالٌ ذهنيةٌ (مثل العد أو الصلاة بصورةٍ مبالغ فيها)، يقومُ بها الفردُ استجابةً للوساوس، وتهدفُ إلى تقليل الضيق، أو منع حدثٍ أو موقفٍ مخيف[٢].

وتُعدُّ العلاجاتُ السلوكيةُ المعرفيةُ، لا سيما التعرضُ ومنعُ الاستجابة، الخيارَ العلاجيَّ الأكثرَ فعاليةً، كما يمكن أن يكون العلاجُ الدوائيُّ، باستخدام مثبطاتِ استردادِ السيروتونين الانتقائية، فعالًا في تخفيفِ الأعراض.

أعراض الإصابة باضطراب الوسواس القهري

لا يوجد اختبار محدد لتشخيص الوسواس القهري. يعتمد الطبيب النفسي عادةً على التاريخ الطبي والنفسي للمريض، ويُقيّم الأعراض وتأثيرها على الأداء اليومي[٣]. وعلى الرغم من عدم وجود اختبار محدد لتشخيص الإصابة بالاضطراب، إلا أنه توجد مجموعة من الأعراض التي بملاحظتها يمكن رصد وجود هذا الاضطراب بالفعل، وبإمكان كل واحد منا النظر فيما إذا كانت هذه الأعراض حاصلة لديه أم لا.

وتنقسم أعراض اضطراب الوسواس القهري أساسًا إلى شقّين، تبعا للسمات التي عرضنا إليها سلفا، وهي: الوساوس (أفكار متكررة ومزعجة) والقهور (سلوكيات متكررة وقهرية). ورغم أن معظم المصابين يعانون من كلا الجانبين، إلا أن بعض الحالات قد تقتصر على أحدهما. وفيما يلي بعض الأمثلة التي تساعد على التفريق بينهما:

أولًا: أعراض الوساوس

تتمثل أعراض الوساوس في صورة خوف مفرط من التلوث بالجراثيم أو الأوساخ، أو خوف من ارتكاب الأخطاء، أو الخوف من إيذاء النفس أو الآخرين، أو

أفكار مهووسة بالنظام والترتيب والكمال، أو الخوف المستمر من النسيان أو فقدان الأشياء، أو أفكار مزعجة أو غير مرغوبة تتعلق بالدين أو الأخلاق، كما قد تتمثل في صورة أفكار جنسية غير مرغوبة، أو القلق المفرط بشأن فقدان السيطرة على الكلام أو الأفعال، أو الحاجة الدائمة إلى الطمأنة والتأكيد من الآخرين.

ثانيًا: أعراض القهور

تتمثل أعراض القهور في صورة الإفراط في غسل اليدين أو الاستحمام (قد يتجاوز ساعة يوميًا)، أو إعادة ترتيب الأشياء بشكل متكرر للحصول على تناسق أو تماثل معين، أو فحص أقفال الأبواب أو مقابضها، وأجهزة الطهي أو المفاتيح الكهربائية بشكل متكرر، أو الاحتفاظ بأشياء عديمة القيمة أو قليلة الفائدة، أو القيام بالمهام بطريقة جامدة ومتكررة أو الالتزام بالروتين الصارم، أو الشعور بقلق شديد أو انزعاج حاد عند الخروج عن منطقة الأمان أو الراحة. أو العدّ لأرقام محددة أو ترديد كلمات بعينها عددًا معينًا من المرات، أو تجنّب أرقام أو كلمات دون سبب واضح، أو البحث الدائم عن كلمات طمأنة أو تأكيد متكرر، أو محاولة كبت الأفكار السيئة واستبدالها بأفكار جيدة بشكل قهري.

كل ما سبق تعد معايير تشخيصية لاضطراب الوسواس القهري، شريطة أن تكون الوساوس أو القهور مستهلكة للوقت (أكثر من ساعة يوميًا) أو مسببة لضيق نفسي كبير أو تعطل الوظائف الاجتماعية أو المهنية أو غيرها.

وينبغي أن نضع في الحسبان ألا تُعزى الأعراض إلى تأثيرات دوائية أو مرض طبي آخر وألا يكون الاضطراب مفسرًا بشكل أفضل باضطرابات نفسية أخرى.

وثمة ملاحظة جديرة بالإشارة في هذا المقام، وهي أن الأطفال الصغار قد لا يستطيعون تفسير دوافع هذه الأفعال بشكل دقيق، الأمر الذي يفسر صعوبة رصد هذا الاضطراب لديهم، إلا في حال الملاحظة المركزة.

لماذا نصاب بهذا الاضطراب؟!

مع تراكم الضغوط النفسية، وإهمال سبل معالجتها، تزداد الحاجة القهرية إلى القيام بسلوكيات معيّنة بهدف تهدئة الأفكار الدخيلة. لكنّ هذه السلوكيات، بدلا من أن تزيل القلق، تتحوّل إلى طقوس قسرية تُعزّز الدورة المرضية وتزيدها ترسخًا. ومع مرور الوقت، يبهت الخط الفاصل بين الأفعال الإرادية والسلوكيات

مع تراكم الضغوط النفسية، وإهمال سبل معالجتها، تزداد الحاجة القهرية إلى القيام بسلوكيات معيّنة بهدف تهدئة الأفكار الدخيلة. لكنّ هذه السلوكيات، بدلا من أن تزيل القلق، تتحوّل إلى طقوس قسرية تُعزّز الدورة المرضية وتزيدها ترسخًا. ومع مرور الوقت، يبهت الخط الفاصل بين الأفعال الإرادية والسلوكيات المدفوعة بالقلق، ليجد المريض نفسه عالقًا في دائرة مغلقة من الوساوس والقهور. ورغم أن هذه الطقوس قد تمنحه راحة مؤقتة، إلا أنها تُغذي الوساوس وتفاقم المعاناة، مستنزفة طاقته الذهنية ومعطّلة سير حياته اليومية

المدفوعة بالقلق، ليجد المريض نفسه عالقًا في دائرة مغلقة من الوساوس والقهور. ورغم أن هذه الطقوس قد تمنحه راحة مؤقتة، إلا أنها تُغذي الوساوس وتفاقم المعاناة، مستنزفة طاقته الذهنية ومعطّلة سير حياته اليومية[٤].

غير أن الأسباب الدقيقة وراء هذا الاضطراب لا تزال غير معروفة بالكامل، لكن الدراسات تشير إلى تفاعل عوامل بيولوجية ونفسية وبيئية في نشأته، ومنها:

١. العوامل الوراثية: حيث لوحظ أن وجود قريب من الدرجة الأولى (والد أو شقيق) مصاب بالاضطراب يزيد احتمالية الإصابة.
٢. تركيب الدماغ ووظيفته: فالتغييرات في بنية الدماغ أو التغيرات الكيميائية أو الوظيفية فيه قد تلعب دورًا محفزًا للإصابة باضطراب الوسواس القهري.
٣. الصدمة في الطفولة: التعرض للإساءة أو الإهمال أو المواقف الضاغطة في سن مبكرة يمكن أن يُطلق أعراض الاضطراب.
٤. الحمل والتحولات الحياتية: الولادة أو غيرها من التغيرات الكبرى في الحياة قد تسهم في ظهوره.
٥. متلازمة بانداس: وهي اضطرابات مناعية عصبية نفسية لدى الأطفال مرتبطة بعدوى المكورات العقدية (مثل الحمى القرمزية)، وقد يؤدي بعضها إلى ظهور أعراض وسواسية.
٦. التعلّم بالملاحظة: يتأثر الأطفال بشكل كبير بنماذج السلوك في محيطهم، ومشاهدة مخاوف وسواسية وسلوكيات قهرية لدى الوالدين أو الأقارب قد تدفعهم لتقليدها.
٧. التحيزات المعرفية والشخصية: الأفراد الذين يميلون للمبالغة في تقدير المخاطر أو الشك في قدرتهم على مواجهة المواقف بثقة أكبر عرضة للإصابة بالوسواس القهري كسلوك سلبي للتأقلم مع الضغوط.

وسائل المساعدة والعلاج

إن الصورة في حالات الوسواس القهري ليست قاتمة تمامًا كما قد يتصور البعض، فثمة سبل عديدة للعلاج، لعل من أبرزها:

١. العلاج المعرفي السلوكي: ويُعد أكثر طرق العلاج شيوعًا، ويهدف إلى رصد أنماط التفكير السلبية وتحديدها واستبدالها بأفكار وسلوكيات صحية.

٢. العلاج بالتعرّض ومنع الاستجابة: وهو أسلوب فعّال قائم على تعريض المريض تدريجيًا للمواقف أو الصور أو الأشياء التي تثير وساوسه، مع منعه من أداء الأفعال القهرية، ليختبر بنفسه أن النتائج المخيفة لا تحدث وأن الأفكار مجرد افتراضات.

٣. تمارين الاسترخاء والتأمل الواعي: مثل التنفس العميق، واليوغا، والخيال الموجَّه، وهي مفيدة خصوصًا إذا مورست بالمصاحبة مع العلاج السلوكي.

٤. العلاج العقاقيري: ويكون بتناول أدوية مثل مضادات الاكتئاب، خصوصًا مثبطات استرداد السيروتونين الانتقائية، أثبتت فعاليتها في تحسين الأعراض عبر زيادة توفر السيروتونين في الدماغ.

٥. العناية الذاتية: وهو أسلوب وقائي في الأصل، ويمارس بالنوم الجيد، والنشاط البدني، والتغذية المتوازنة، وإدارة التوتر، والتواجد في بيئة اجتماعية صحية، وتحقيق التوازن بين العمل والحياة، وتعلم وضع الحدود. كل هذه العوامل تدعم الصحة النفسية وتخفف من حدة الاضطراب، وقد تقي من ظهوره.

ومهما اختلفت أسباب اضطراب الوسواس القهري، يبقى من المهم إدراك أنه قابل للعلاج. فالتشخيص المبكر للأعراض هو الخطوة الأولى نحو التعافي. ولنتذكّر دائمًا أن التدخل المبكر يُسهم في شفاء أسرع وأكثر فاعلية.

الهوامش:

١. جمعية الطب النفسي الأمريكية (٢٠١٣). الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات النفسية، الطبعة الخامسة (DSM-5).

٢. نفس المرجع السابق.

٣. نفس المرجع السابق.

4. Abramowitz, J. S., Deacon, B. J., & Whiteside, S. P. H. (2011). Exposure Therapy for Anxiety: Principles and Practice. Guilford Press.

altaqwa.net
الجن بين الحقيقة والخرافة
أغسطس 2022
سبتمبر 2022
أكتوبر 2022
نوفمبر 2022
ديسمبر 2022
مارس 2022
إبريل 2022
مايو 2022
يونيو 2022
يوليو 2022
أكتوبر 2021
نوفمبر 2021
ديسمبر 2021
يناير 2022
فبراير 2022

AL-TAQWA

Monthly Islamic Magazine Vol. 38 - Issue 9, January 2026

www.altaqwa.net